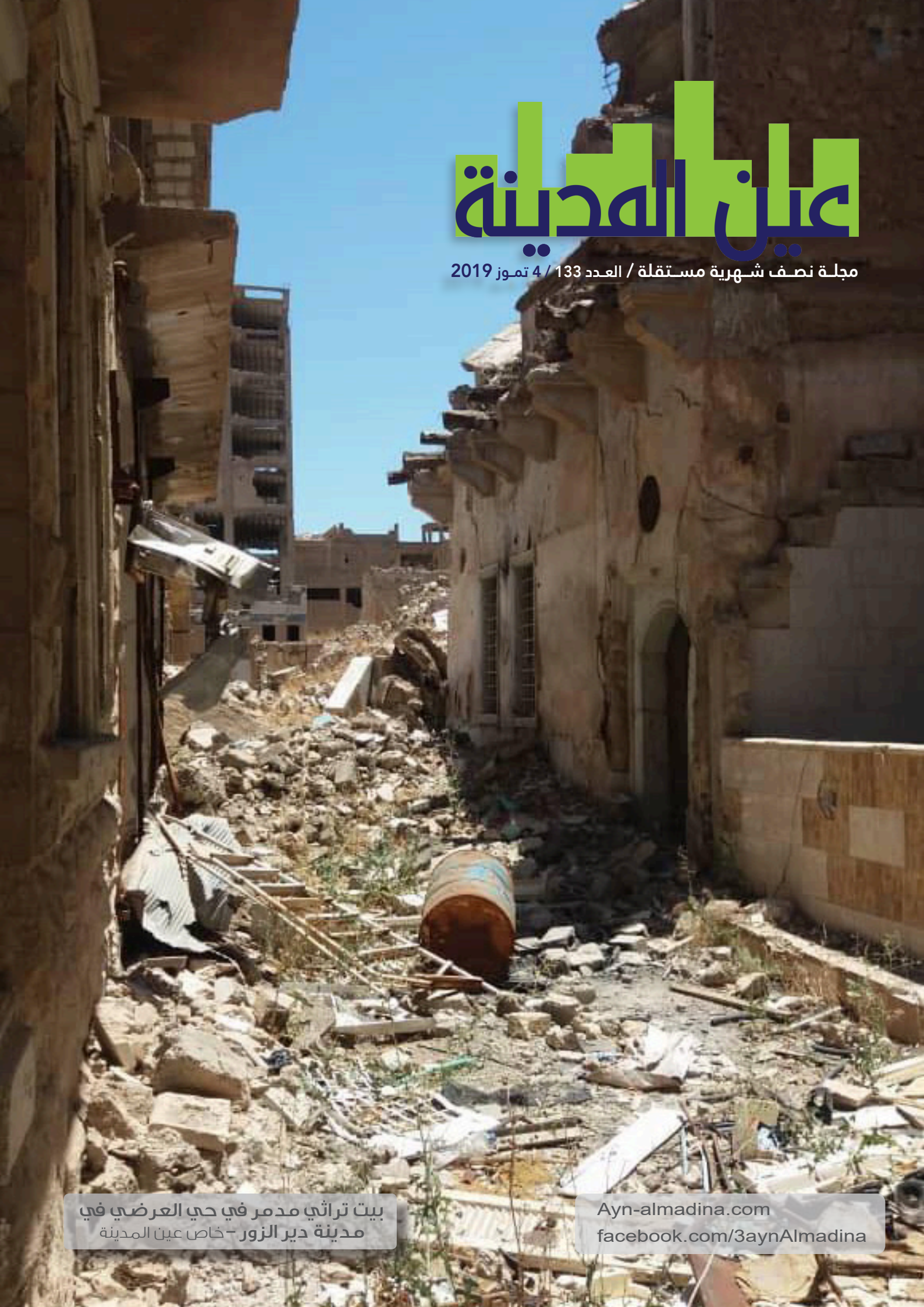

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 133 / 4 تموز 2019

بيت تراثي مدمر في حي العرضي في مدينة دير الزور – خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

إدلب تعيد الأسد إلى حقيقته وتهدم أوهام «النمر»

أطلقت روسيا إشارة البدء، واستعدّ معسكر الشبيحة مسبقاً للاحتفال بـ"النصر"، بل إنّ البعض اشترى فعلاً أطباق الحلوى لتوزيعها في الشوارع ابتهاجاً بالمذابح كالعادة.

وزاد في طنبور معسكر الإرهاب المسمى بـ"الممانعة" نغم جديد، مع إعلان الروس أنّ الحملة على إدلب سيقودها سهيل الحسن، عبر "قوات النمر" التي تشتق اسمها من لقبه الأثير عند مريدي فلسفته الخاوية وهرائه غير المتسق.

لكن انتظارهم طال، حدثت مذابح كما كان متوقعاً، واستخدم السلاح الكيماوي كما كان منتظراً، وشنّ الطيران الروسي حملات القصف البساطي المدمرة مصحوباً بتهليل وأمنيات متوحشة من بعض السوريين -بكل أسف- كما جرت العادة، ولم تسقط إدلب.

الواقع أنّ السؤال عندهم لم يعد حول إدلب عينها، بل حول قرى صغيرة في ريفي حماة وإدلب خسروا فيها مئات من الجنود، وعدداً لافتاً من الآليات وكميّات من الذخائر والأعتدة، وغرقت أسطورة "النمر" الوهمية في وحل الكرّ والفرّ المكلف، وترنّحت الخطابات التعبوية والإنذارات النهائية بين صور الجثث والآليات المحترقة.

نعم، دفعت إدلب وريف حماة ثمناً باهظاً، وقد تستمران في دفعه مادام في دمشق من يعتقد أنّ قتل السوريين هو ممر النجاة، وفي موسكو من يعتبر أنّ استعراض القوة الكاسحة والقاتلة فوق رؤوس المدنيين هو ممر الإمبراطورية المستعادة، وفي طهران من يظنّ أنّ دفع أمواج جديدة من اللاجئين سينقذ الاتفاق النووي.

يطول شرح وتفنيد أسباب فشل الحملة الأكبر حتى الآن على إدلب، غير أنّ حقيقة واحدة ستظل شاخصة إزاء أنصار "تأبيد الطغيان"، وهي أن نظام بشار الأسد لم يعد موجوداً كنظام فعلي، وهو لا يملك من أمر قوّته شيئاً، إلى درجة أنه عاجز عن مناقشة تسمية قائد حملة عسكرية تشن باسمه على أرض سوريّة وضد مدنيين سوريين.

ومع توقّع صعوبة بالغة في قدرة الشبيحة على تجاوز عقلية "الاعتقال الذاتي" والوله بالسجّان، فإنّه من الممكن أن تكون إدلب قد أقنعت البعض بحقيقة أنّ نظام بشار الأسد ليس الآن سوى واجهة سياسية مهترئة لتقاطع مصالح يقود مليشيات متفاوتة القوة ومتضاربة الولاء، لكنها كلّها مدموغة بالإرهاب والتخلف العميق والطائفية العنيفة.. والمصير القاتم المحتوم.

3 بكالوريا للبيع في دير الزور.. خدمة توصيل للمنازل

5-4 المشهد السياسي في دير الزور

6 رغم الاهتمام السعودي.. لا يبدو أن قوى محلية ستحكم منبج

9 بعد تدمير المستشفيات في ادلب . الكوادر الطبية تبحث عن بدائل

11 مصير مجهول ينتظر الأسر العائدة من معبر كسب

12 الموت المجاني.. صور متعددة في الساحل السوري

17-16 الائتلاف.. لعبة الكراسي الموسيقية «عديمة الفائدة»

19 مجنون النمر وعاشور عاشور.. تحولات في سير المخبرين

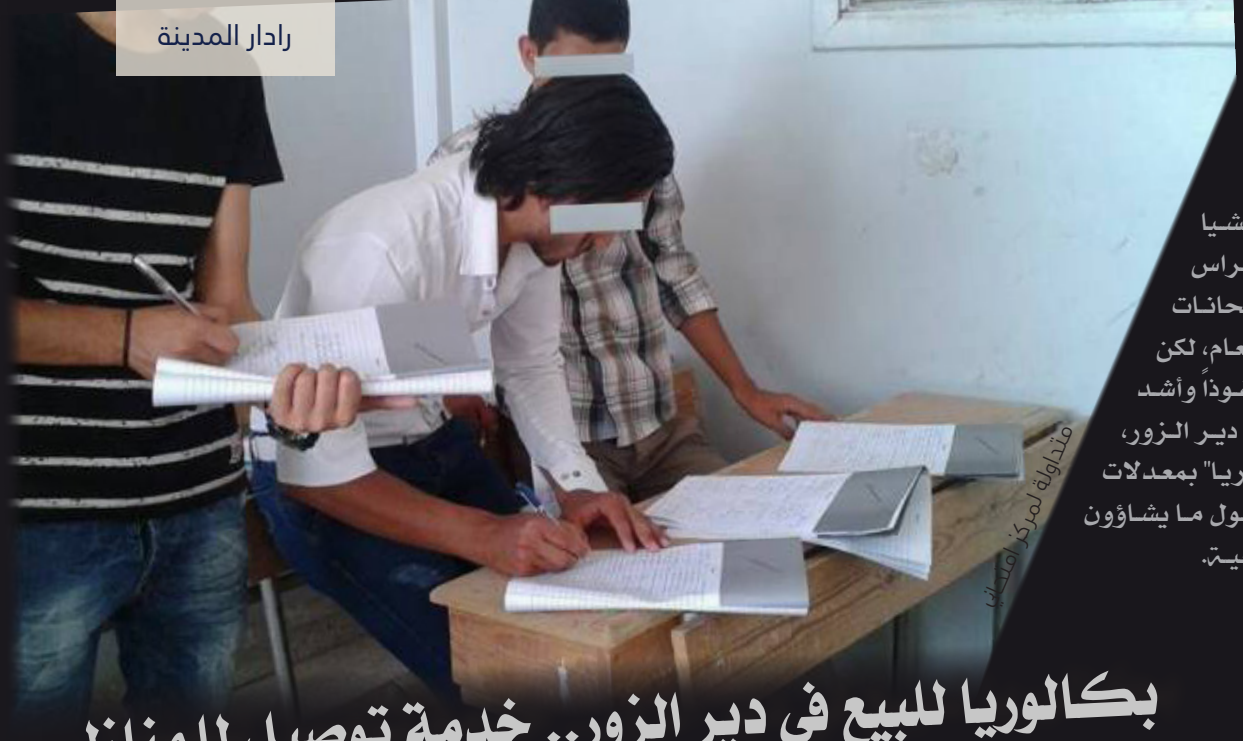

متداولة لمركز أمكنة

غاب قائد ميليشيا "الدفاع الوطني" فراس العراقية عن امتحانات الشهادة الثانوية هذا العام، لكن طلاباً آخرين أوسع نفوذاً وأشد قوة جاؤوا إلى مدينة دير الزور، ليتناولوا شهادة "بكالوريا" بمعدلات مرتفعة تؤهلهم لدخول ما يشاؤون من الكليات الجامعية.

بكالوريا للبيع في دير الزور.. خدمة توصيل للمنازل

مصطفى غنام

في العام 2008 قتل العميد محمد كامل سليمان، صهر مدينة دير الزور وأحد أركان الحلقة الضيقة حول بشار الأسد، في عملية اغتيال غامضة اتُهمتْ إسرائيل بالوقوف خلفها. رحل الرجل لكن زوجته الثانية ابنة دير الزور ريم شويش سليمان، حافظت على كثير من مكاسب ونفوذ زوجها، لا سيما مع العناية الإيرانية الخاصة بها؛ ابنها الثاني باسل متوسط في مستواه الدراسي، غير أنها تريد منه أن يكون "دكتوراً".

بقليل من الاتصالات، ومن غير عناء يُذكر، تولّى مدير التربية في دير الزور خليل حاج عبيد ترتيب ما يلزم، فاختار له مركزاً امتحانياً في ثانوية زكي الأرسوزي في حي القصور، وأعدّ بالتعاون مع مدير الامتحانات الفريق المناسب من المراقبين، وفي كل مادة كانت ورقة الإجابات تدخل مكتوبة وممهورة بالختم اللازم إلى الفتى المدعوم، وتسحب منه ورقته الأساسية لإتلافها، وما عليه سوى تسليمها إلى المراقبين والخروج من المركز الذي خُصص للطلاب المدللين من أبناء ضباط جيش الأسد ومخابراته، ليس في دير الزور وحدها، بل في أي مكان آخر.

تقدّم إلى امتحانات الشهادة الثانوية العامة بالفرعين الأدبي والعلمي هذا العام (6190) طالباً وطالبة توزعوا على (51) مركزاً امتحانياً، وشكلت الامتحانات موسم عمل خاص لمسؤولين من المحافظة، مثل منى الخاير عضو المكتب التنفيذي، ولموظفين في مديرية التربية والامتحانات كان أهمهم مديرها خليل حاج عبيد، والموظف أحمد عبد الحكيم، وأكثر من (10) معلمين ومعلمات.

وإلى جانب هؤلاء عملت شبكة من السماسرة لأشخاص من خارج قطاع التربية، مثل محمد الفهد طالب كلية الطب البيطري والمندوب المتعاقد مع الأمن العسكري، وكذلك المقاول المقرب من أمن الدولة بديع عواد المعروف بلقب "أبو بدر"، ويرتبط هؤلاء بشبكة مدرسين اختصاصيين تتولى حل الأسئلة من المنازل خلال وقت قصير قبل توزيعها على الطلاب المشتركين في خدمة الإجابات الجاهزة. فبلغ سعر اشتراك مادة الرياضيات للبكالوريا العلمي (160) ألف ليرة، و (125) للفيزياء والعلوم واللغة العربية والإنكليزية، وأما الفرع الأدبي فتراوحت أسعار الإجابات الجاهزة بين (150) و (100) ألف ليرة.

على باب مدرسة عدنان المالكي وقفت عشرات الأمهات ينتظرن خروج بناتهن من المركز الامتحاني، وبين التسبيح والدعاء وشرب الماء من علب بلاستيكية معبأة في المنزل، كانت اثنان منهما تكيلان الشتائم لمنى الخاير عضو مجلس المحافظة، لأنها أعادت تعيين مدير ومراقبي المركز الذي تتقدم ابنتها للامتحانات فيه.

أمام باب مدرسة النسوي تكرر المشهد ذاته، لكن اقتحام مساعد أول في المخابرات العسكرية المدرسة وصراخه الغاضب بوجه المراقبين داخل المدرسة أثار فضول الأمهات، وقطع دعاءهن بالعمى للمفتشين الوزاريين القادمين من دمشق الذين سبقوا المساعد في الوصول إلى المدرسة، وأمام مدرسة رمضان شلاش أحاط عناصر الشرطة العسكرية بطالب خرج متذمراً من الامتحان وضربوه بوحشية، ما استفز الأهالي المتجمعين فحاولوا تخليص الطالب قبل أن يباشر العناصر إطلاق النار في الهواء.

> وزير تربية النظام عماد العزب "هناك رغبة كبيرة من الطلاب للتقدم للامتحانات في ديرالزور على أمل أن يحظوا بنفس الوضع السابق" مشيراً إلى أنه "من غير المنطقي أن تكون المحافظة الأولى في المعدل على مستوى القطر هي ديرالزور"

وبالرغم من وجود (34) مندوباً وزارياً جاؤوا من دمشق للإشراف على امتحانات الشهادة الثانوية في دير الزور، إلا أنهم تجاهلوا التقارير التي وصلتهم من بعض المعلمين عن حالات غش وتزوير مؤكدة، حيث استطاع مدير التربية ترضيتهم منذ البداية، حسب شهادات متواترة لمعلمين شاركوا في العملية الامتحانية.

وتكشف الامتحانات هذا العام عن المزيد من الانهيار في منظومة التعليم في دير الزور، وعن فقدانها الحد الأدنى من المصداقية والجودة، لتصدر شهادات تتيح لحامليها الالتحاق بالجامعات، التي دخلت هي الأخرى في مرحلة الانهيار.

المشهد السياسي في دير الزور.. مواقف متعددة وتوترات متجددة وصراعات مفتوحة

فيصل دهموش

تكشف المواقف السياسية لأبناء محافظة دير الزور حدة وعمق الصراع السياسي والاجتماعي فيها، والتي رغم تقاطعاتها في بعض المواقف الفرعية، إلا أن جذرها الأساسي يجعل من المستحيل تقاربها، على أن غالبية أصحاب هذه المواقف يشتركون في عدم مقدرتهم على فرض أو تنفيذ رؤاهم ومشاريعهم التي تعبر عنها، إما بسبب تحالفاتهم مع قوى محلية وإقليمية ودولية تغلّب مصالحها الاستراتيجية، أو عدم انتظام الأفراد والجماعات غير المتحالفين مع مثل تلك القوى في أطر سياسية ذات ثقل اجتماعي واقتصادي، وسيبلور تدخل السعودية الجديد في المنطقة مواقف جديدة دون أي أفق لدعم مستديم وآمن لقواها.

تُبنى المواقف السياسية عموماً على خيارات الأفراد والجماعات حيال قضايا سياسية، ويتحكم في انحيازهم هذا العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بينما تبنى التحالفات السياسية والاجتماعية على أساس التقارب الفكري والأيديولوجي أو العدو المشترك أو تغير الظروف السياسية والمصالح المرتبطة بها، وبقدر ما كان المجتمع السوري عموماً يعاني من حالة انغلاق سياسي حتى عام 2011، انخرط بعده أفراد وشرائح اجتماعية متعددة في الشأن العام، وتعددت المواقف السياسية بعد انطلاق الثورة، واستمرت هذه المواقف بالتبدل والتفاعل مع التغيرات التي أفرزتها مراحل الثورة المختلفة.

واليوم تبدو خريطة المواقف والتحالفات السياسية أكثر وضوحاً وتعقيداً بآن، وتعبر بشكل كبير عن انعكاس الإرث الذي راكمته الأحداث التي مرت على المحافظة، والأثر الذي تركته وعممته على مواقف شرائح اجتماعية واسعة من جهة، وعلى العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى.

يتبنى أهالي دير الزور أساساً ثلاثة مواقف سياسية رئيسية: "المعارضة لنظام الأسد، الموالاة لنظام الأسد، والحيادية" منذ انطلاق الثورة، ومؤخراً يمكن ملاحظة مواقف سياسية فرعية ضمن هذه المواقف الرئيسية، تختلف وتتقاطع فيما بينها كلياً أو جزئياً، حيال عدد من القضايا والقوى السياسية والعسكرية في المحافظة: "المعارضة، نظام الأسد، مجلس سوريا الديمقراطية، التواجد الروسي والإيراني والأمريكي والتدخل التركي". على أن هذه المواقف السياسية عمومية، ولا يشكل أفرادها بالضرورة مجموعات متسقة ومنتظمة، ويتحكم فيها طبيعة العلاقة مع سلطات الأمر الواقع، والمستوى الاقتصادي والمصالح الخاصة والعامة، ومستوى الخدمات والظروف الأمنية.

الموالون للنظام

تعيش الغالبية العظمى من الموالين للنظام في مناطق سيطرته، وهم إضافة إلى عدائهم الشديد للثورة، يتبنون موقفاً معارضاً أيضاً لنفوذ أمريكا في المنطقة، وحليفها المحلي المتمثل ب"مجلس سوريا الديمقراطية".

ترى فئات واسعة من الموالين الروس والإيرانيين حلفاء أساسيين، ويجب بناء علاقات سياسية وعسكرية واقتصادية معهما؛ هذا ما تجسد على أرض الواقع من خلال الميليشيات المحلية الموالية للطرفين المنتشرة في المنطقة، والعديد من التحالفات الاجتماعية والاقتصادية معهما. بينما يبدي البعض تحفظهم أو عدم رضاهم عن النفوذ الإيراني، ويرون في الروس وحدهم حلفاء استراتيجيين، دون أن يملكوا قنوات للتعبير عن موقفهم هذا بشكل علني سوى السخرية غير المنتظمة من التمدد الشيعي على وسائل التواصل الاجتماعي، ويعزى موقفهم إلى محاولات الإيرانيين في تغيير الوجه الثقافي والديني عبر سياسات التشييع التي ينتهجونها، وتدور ما بين هاتين الفئتين صراعات عسكرية متعددة لفرض نفوذهما، أبرزها الصدامات العسكرية في مدينتي الميادين والبوكمال، وحوادث الاغتيالات المتبادلة في مناطق متفرقة بدير الزور.

المعارضون

أما المعارضون لنظام الأسد فيتواجدون خارج مناطق سيطرته في الداخل السوري ودول اللجوء، ويتوفر لديهم مناخاً أكثر حرية في اتخاذ مواقف سياسية متعددة ومركبة، ومجالاً كبيراً للتعبير عن آرائهم بشكل واضح؛ فإضافة إلى موقفهم الجذري المعارض للنظام، واعتبار الوجود الروسي والإيراني قوى احتلال أجنبي، من ثم يجب مقاومتها سياسياً وعسكرياً- فإنهم يعبرون أيضاً عن آرائهم حيال قوى عسكرية وسياسية منخرطة ومتدخلة في الثورة السورية أيضاً، سواء

عبر منصات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام أو بعض الوقفات الاحتجاجية ضد انتهاكات بعض الفصائل المسلحة وتنظيمي "داعش والنصرة"، كما تطال انتقاداتهم مكونات وأحزاب ومؤسسات ثورية أيضاً.

تتعدد وتتناقض مواقف المعارضين من النفوذ الأمريكي ومجلس سوريا الديمقراطية في دير الزور؛ فهناك الانطلاق من معطيات الواقع الميداني والسياسي وضرورة التحالف مع الولايات الأمريكية من جهة، والتنسيق والتعاون مع مجلس و"قوات سوريا الديمقراطية (قسد)" بشكل مؤقت من جهة أخرى؛ وينخرط أصحاب هذا الموقف في تشكيلاته العسكرية وبنى وإدارات الحوكمة التابعة له، أو في منظمات مدنية خدمية، أو تحالفات اجتماعية مع سلطاته، ويتعرض هؤلاء لانتقادات وتهديدات كثيرة من عدة أطراف وصلت إلى اغتيال أحد أعضاء "المجلس التشريعي".

وهناك رفض الانخراط تحت المظلة السياسية لمجلس سوريا الديمقراطية، ويصر متبنو الموقف أن يكون لأبناء دير الزور منظومة حوكمة وإدارة مدنية مستقلة عنه بالتنسيق المباشر مع الأمريكيين وحلفائهم، واقتصار علاقتهم مع المجلس على التنسيق في قطاعات الأمن والحماية والاقتصاد، وهم متواجدون بشكل أساسي في مناطق الشمال والشمال الشرقي في سوريا وفي بلدان اللجوء، والتقى بعضهم مع الخارجية الأمريكية لطرح وجهة نظرهم تلك، إلا أنها لاقت رفضاً قاطعاً من قبل مجلس سوريا الديمقراطية.

وصولاً إلى الرفض المطلق للتحالف مع أمريكا وضرورة مقاومة سيطرة "الأكراد" وطردهم من المناطق العربية في الجزيرة السورية عموماً، ويمكن ردّ هذا الموقف إلى أربع عوامل أساسية؛ الأول: التوتر العربي-الكردي المتجذرة في المنطقة وتأججها إبان الثورة السورية، والثاني: التعاون العضوي ما بين حزب الاتحاد الديمقراطي ونظام الأسد الذي سلم الحزب الكردي مواقع عديدة في الجزيرة السورية بعد الثورة، والثالث: الاستقطاب السياسي للأفراد المنخرطين في تحالفات إقليمية يشكل تصاعد الدور السياسي والعسكري للمكون الكردي تهديداً قومياً بالنسبة لها، والرابع: الحساسية التقليدية من التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ينتشر هؤلاء الجذريون أساساً في مناطق الشمال السوري، ومتحالفون غالباً مع الحكومة التركية باعتبار "الأكراد" عدواً مشتركاً لهما، وشاركوا في عملية "غصن الزيتون" في منطقة عفرين، ويشترك قسم منهم أيديولوجياً مع "هيئة تحرير الشام".

الحياديون

تضم دير الزور شرائح اجتماعية -غير قليلة العدد- حيادية أو مسلوبة الخيارات السياسية، تتوزع في كافة مناطق تواجد السوريين، غير مسموح لهم في مناطق النظام أساساً التعبير بما يخالف الموقف الرسمي له، مهما رأوا فيه من تناقض وعدم موضوعية. الحياديون، ويشاركهم بعض الموالين، لديهم انتقادات تتعلق بسوء الخدمات العامة، ومخاوف جراء الانتهاكات التي ترتكبها الميليشيات المحلية والأجنبية المنتشرة فيها: كابتزاز السكان والاعتداء على ممتلكاتهم والتضييق الأمني عليهم، وتحكم عناصر الميليشيات بمؤسسات الدولة؛ يعبرون عنها بين الحين والآخر في المجال العام.

وتتمثل أولوياتهم في مناطق سيطرة مجلس سوريا الديمقراطية -والنزوح واللجوء- في إنهاء الحرب والأزمة الإنسانية للسكان، ويحمّلون مسؤولية المأساة العامة في البلاد لكافة أطراف الصراع، وجل همهم البحث عن الأمان وتأمين متطلبات الحياة اليومية على حساب المطالب السياسية والحقوق العامة، إلّا أن لدى قسم منهم بعض المرونة في التحوّل إلى موقف سياسي عام حيال الثورة ونظام الأسد ومجلس سوريا الديمقراطية، والتواجد الأمريكي والروسي والإيراني في محافظة دير الزور، ما بين الرفض والتأييد وفقاً لأماكن تواجدهم الجغرافية ومصالحهم الخاصة ومدى استفادتهم من الظروف والمزايا التي توفرها هذه القوى في مناطق سيطرتها.

ورغم أن الكثير منهم في مناطق سيطرة مجلس سوريا الديمقراطية لم يكن لديهم مشكلة مع سلطته، إلا أن قبولهم بها كان مؤقتاً بسبب معاناتهم الكبيرة خلال فترة سيطرة تنظيم "داعش"، ومكابدتهم أكلاف الحرب والنزوح. إذ ظهرت بينهم مطالب خدمية واقتصادية وسياسية واجتماعية، تجسدت باعتراضات على طريقة إدارة المجلس، وسوء الأوضاع الأمنية والخدمية، وعبروا عنها ضمن المظاهرات التي حصلت في المنطقة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هؤلاء لا يفضلون بالضرورة العودة إلى مناطق سيطرة النظام، رغم محاولته استمالتهم عبر المصالحات المحلية، لتخوفهم من غدر الأجهزة الأمنية للنظام والميليشيات المنتشرة في مناطقه، وهو ما وقع فعلاً على عائدين من بينهم.

عودة إلى السبهان

ترسم هذه المواقف العامة والفرعية خريطة الصراع السياسي وأبعاده الانقسامية ما بين الأفراد وشرائح اجتماعية في دير الزور تتبنى مواقف متباينة، في ظل حالة الاستعصاء السياسي الدولي والإقليمي إزاء القضية السورية، والمتمثل في التوترات السياسية الأمريكية-الروسية، والأمريكية-التركية، والأمريكية-الإيرانية، وإذا ما أضفنا إليها محاولات استثمار تنظيمي "داعش والقاعدة" في هذه التوترات والمواقف السياسية، وإمكانية تأثيرهما في المشهد السياسي في الشرق السوري، فإننا أمام واقع من المرجح أن يزداد تعقيداً وتأزماً بشكل يجعله مفتوحاً على تعزيز وإضافة تناقضات وتوترات وصراعات تورث المنطقة المزيد من التفتت الاجتماعي.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار التطورات السياسية الأخيرة في دير الزور، والمتمثلة بزيارة وزير الدولة السعودي ثامر السبهان، والتي يرجّح محللون سياسيون أنها تهدف إلى دعم قوات من أبناء العشائر في دير الزور، يتمتعون خلالها باستقلالية نسبية عن "قسد"، لمواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة، فإن هذا سيضيف عاملاً سياسياً جديداً سينتج عنه مواقف فرعية أخرى مختلفة ومتداخلة، إذ لن تحكم المنخرطين المفترضين في المشروع الجديد -إذا كان حقيقياً- خيارات واعية فقط، أو خلفيات اقتصادية واجتماعية وثقافية، بل سينفتح الأمر على العديد من التأثيرات الخاصة بالسكان المحليين أو القوى التي ستحاول الاستثمار في المستجدات، وعندها لن تنفع النوايا الطيبة -إن وجدتْ- في وقف معارك جديدة تبدأ بآلية تشكّل القوات الجديدة وقيادتها.

وفد عسكري أميركي أمام مقر مجلس منبج

في زيارته الأولى إلى المدينة، اجتمع الوزير السعودي السبهان مع قيادة مجلس منبج المدني والعسكري ووجهاء العشائر الموالين "لقوات سوريا الديمقراطية (قسد)"، بعد تسرب أنباء سابقة عن زيارات سرية لضباط سعوديين ومصريين، إذ من الواضح أن السعودية لا تريد حتى اللحظة زيادة التوتر السعودي -التركي في شمال سوريا، لكن تحركاتها لا يمكن أن تفسَّر إلا في سياق العمل لزيادته.

رغم الاهتمام السعودي.. لا يبدو أن قوى محلية ستحكم منبج

عدنان الحسين

في قاعدة السعدية شمال غرب مدينة منبج (12 حزيران الفائت)، حطت طائرة الوزير السعودي ثامر السبهان، ومنها قصد المدينة مستكملاً زيارته لمناطق شرق سوريا الخاضعة لسيطرة قسد، والتي كان الهدف الظاهر منها التأكيد على استمرار دعم المشاريع التي بدأها المجلس المدني في المدينة، وبحث متطلبات توسيع مروحتها. وبالفعل باشر المجلس المدني التابع لقسد باستكمال مشروع منبج التوسعي الذي أُقرّ إبان سيطرة نظام الأسد على المدينة، وقام بوضع مشاريع لتعبيد طرقات المدينة وبناء جسور إضافية ورفع مستوى الخدمات.

على أن زيارة السبهان لمنبج لم تكن بهدف زيادة الدعم لمجلسها المدني فقط، بل كان للقاء العشائر جزء مهم من الزيارة، ويعتبر من ضمن مشروعه الحثيث لتشكيل قوة عربية نواتها أبناء العشائر العربية، وتكون مرتبطة بالسعودية بشكل مباشر، وتحت سلطة قسد، وبطبيعة الحال تحت الحماية الأمريكية. "فالمطلوب من دول الخليج اليوم هو التدخل من جديد في سوريا، ولكن بطرق وأهداف جديدة، وكما كان التدخّل في بداية الثورة محكوماً بالتوجهات العامة لواشنطن، وليس نابعاً من مصلحة قومية أو حاجة خليجية وطنية، أو دافع حقيقي لمساعدة السوريين للإطاحة بنظام الأسد، فكذلك اليوم هو الحضور السعودي في مناطق شرق الفرات" حسب الكاتب حسن النيفي من مدينة منبج.

ورغم أن عشائر منبج بالمحصلة امتداد لعشائر المنطقة الشرقية، لكن يبدو الهدف الأبرز من التواصل معهم منفردين هو إبعادهم عن محور تركيا، التي تدعم وتملك ثقلاً كبيراً في ريف حلب الشمالي والشرقي، خاصة بين عشائر منبج التي تركت المدينة واستقرت بمناطق سيطرة "درع الفرات"، وليس خافياً أن عشائر منبج تشكل رأس الحربة في أي عملية عسكرية للسيطرة على المدينة ومناطق شرق الفرات بالنسبة إلى تركيا.

يقول النيفي "ما تريده الولايات المتحدة الأمريكية من السعودية هو الضغط على العشائر العربية في دير الزور والرقة ومنبج لانتزاع حساسية المكوّن العربي تجاه حزب الاتحاد الديمقراطي pyd، مقابل دعم مالي وخدماتي وشراء ولاءات بعض رؤوس العشائر" عازياً توقيت الزيارة إلى التوترات السابقة بين قوات قسد وسكان المنطقة، إذ تدرك واشنطن أن تجسير الهوّة بين سلطة الأمر الواقع وسكان تلك المنطقة بات صعباً.

يعتقد النيفي أنه لا بدّ من البحث عن عوامل تجسير أخرى، وأنه ليس من الصحيح القول بأن هدف واشنطن من وراء إشراك السعودية هو إيجاد مكوّن أو حليف جديد يكون بديلاً عن قسد، إذ لا تخفي واشنطن رغبتها وسعيها في الحفاظ على القوة والنفوذ الذي يمتلكه حزب الاتحاد الديمقراطي في المنطقة، من خلال مطالبتها بإشراك قسد في المفاوضات التي تجري بين المعارضة السورية ونظام الأسد، كما يرى النيفي، الذي يضع في السياق ذاته سعي فرنسا لإجراء مصالحة كردية - كردية، بين حزب الاتحاد الديمقراطي من جهة، وبين المجلس الوطني الكردي من جهة أخرى، وقد ربطت استمرار دعمها لحزب الاتحاد الديمقراطي بنجاح تلك المصالحة.

من جهته يرى الحقوقي عبد المنعم عليان من منبج، أن سبب التركيز مجدداً على مدينته امتلاكها موقع استراتيجي يربط شرق سوريا بشمالها، إضافة إلى كونها خزاناً بشرياً.

ومنذ سيطرة قسد على مدينة منبج بعد طرد تنظيم داعش منها، أعطتها أولوية خاصة من حيث المشاريع والخدمات، خاصة تعبيد الطرق وإيصال الماء والكهرباء، وكذلك عدم فرض مناهجها الخاصة فيها، مثل ما فعلت في مناطق أخرى سيطرت عليها، كما سلمت قيادة مجلسها العسكري والمدني لأبناء المدينة -ولو شكلياً- وذلك كله بهدف ضمان إبقاء المنطقة تحت سلطتها، وولاء عشائرها وأبنائها لها في ظل توتر تركي - أمريكي بشأن السيطرة عليها.

جدارية في تونس

حملات التبرع للثوار.. دافع كبير لهم وعودة ثقة الحاضنة الشعبية بهم

عائشة صبري

كان لمسألة الدعم بكافة أشكاله الأثر الأكبر على سير الأحداث السورية في السنوات الفائتة، بحيث لا يبدأ بشكله السياسي المباشر والبعيد ولا ينتهي بشقه المالي. فإذا كان دور "المال السياسي" سلبياً لاختلاف أجندات الداعمين الخارجين وقنواتهم، فهل يصح ذلك مع المال الذي يجمع اليوم في الشمال السوري تحت بند حملات التبرع؟

"حملات التبرُّع للثوار قضية إيجابية لأنَّها تُرسِّخ التضامن وإعادة الثقة بين الحاضنة الشعبية والثوار، خاصة بعد صمودهم على جبهات ريفي حماة وإدلب منذ بدء الحملة العسكريّة لنظام الأسد وحلفائه قبل نحو شهرين". هكذا ينظر حسين الدغيم، رئيس المجلس المحلي في جرجناز وعضو في حملة "ارم معهم بسهم" هذه الفعالية، موضحاً لمجلة عين المدينة، أن حملات التبرُّع "لا يُقصد منها الجانب المالي فقط، وهو حقيقة شيء لا يُذكر مقارنةً بحجم المعركة، إنما الأهم هو الجانب المعنوي الذي أكد على التلاحم والدعم العام للثوار على الجبهات، وأظهر حجم التضحية عند كل من يبذل المال، سواء امرأة أو طفل أو رجل".

يظهر من المبالغ المجموعة والكبيرة قياساً إلى الأوضاع الاقتصادية المتردية التي يعيشها الشمال السوري، ويظهر كذلك من حديث الفاعلين فيه، إقبال الأهالي على التبرع رغم ما يتعرَّضون له من قصف ونزوح. ويمكن النظر إلى الإيجابية تجاه التبرع لكون المناطق المحررة في الشمال ملجأ أخيراً لملايين السوريين النازحين والمهجرين، وبالتالي تصبح المعارك الأخيرة مسألة وجود بالنسبة إلى الكثير من المدنيين والمقاتلين على حد سواء. "لا بدَّ من وقوف الناس مع أبنائهم المقاتلين" يقول الدغيم، موضحاً أن المرحلة الأولى من الحملة انتهت بجمع أكثر من 180 ألف دولار أمريكي "قُدِّمت بشكل مباشر من (لجان إدارة الحملة) إلى الثوار باليد على الجبهات، دون دخول هذه المبالغ إلى غرف العمليات أو حتى تسليمها للقادة".

تلقى الثوار هذا الدعم بامتنانٍ كبيرٍ وأعينٍ دامعةٍ، كما ينقل الدغيم من معايشته لمراحل الحملة منذ بدايتها حتى النهاية، ويقول "أعادت الحملة الروابط والألفة بين الجانبين، لا سيَّما بعد حالة الفتور التي شهدتها المنطقة -قُبيل الحملة العسكرية- بين الثائر وحاضنته الشعبيَّة".

مرت عملية جمع التبرعات بمرحلتين: الأولى اقتصرت على معارف منظميها والنشطاء في محافظة إدلب عبر التواصل معهم مباشرة، أو عن طريق الحوالات المالية، واستندت العملية على الإيصالات التي تم تسليمها للمتبرِّعين، بينما في المرحلة الثانية من الحملة فشكلت إدارة الحملة لجنة توجهت إلى ريف حلب الشمالي، وهناك التقت بغرف التجارة ومديريات الأوقاف والمجالس المحليَّة، بالإضافة إلى المساجد وفعاليات مدنية أخرى.

حسام سلامة، قيادي في "الجبهة الوطنية للتحرير" قال لعين المدينة: "الكثير من المعطيات تغيرت بعد الأحداث الأخيرة على كل الأصعدة ومنها الاجتماعي، فتعاطي الناس مع الثوار وكسر الحواجز وعودة الثقة بهم كانت واضحة، وتجلى ذلك بحملة "ارم معهم بسهم"، إذ كان التفاعل كبيراً". من المواقف التي يحكي سلامة عنها مشهد طفلة تبرعت بحصالتها بعد أن كتبت عليها جملًا وزينتها برسومات داعمة للثوار، وهنا يعيد التركيز على الجانب المعنوي أكثر من الجانب المادي، يقول "سد الاحتياجات بشكل كامل أمر صعب، لأن الحروب أحياناً تعجز عنها دول، وحملات التبرع سدت حاجيات لوجستية لا بأس بها، مثل الدرَّاجات النارية كون التنقل بها أسرع، بالإضافة إلى وجبات الطعام"

من جهته رأى الكاتب السوري محمود دياب أن الرقعة الجغرافية التي شملتها الحملة "كسرت المناطقية، وألغت هوية المقاتلين، وجعلتهم سوريين فقط، وأعادت روح الانصهار الثوري

بين جميع أفراد المجتمع السوري الثوري".
وذكر دياب لعين المدينة، أنه كان شاهداً على حملة مشابهة في ريف حمص الشمالي، ولكنه يرجح أن أثر حملة إدلب أكبر، لأنها شملت الشعب السوري النازح والمهجّر والمضيف بمكوناته ومناطقه كلها، "فالدمشقي والحلبي والحمصي والحموي والحوراني كلهم هنا يدفعون لغاية واحدة ومصير واحد".

ورأى دياب أن الإقبال على التبرُّع فاق المتوقع، فالناس باتت تبحث عن القائمين على الحملات قبل أن يصلوا لبعض المناطق، وشمل ذلك بعض العوائل التي دون حد الفقر، حيث كان لها مساهمة من خلال أشياء عينية قدمتها للحملة، ومنها -كما يروي الكاتب- امرأة تبرعت بقيمة سلسال ذهب، وأربعة أطفال بمكافآتهم الرمضانية. يقول دياب "أحد الأشخاص تبرع للحملة بـ5000 ل.س معتذراً عن تواضع المبلغ بأنه قدر طاقته".

نظر البعض إلى الحملة بعين الريبة أو الامتعاض، في ظل وجود ريع المعابر الحدودية، ولكن دياب يرى صوابية الحملة خلال التصعيد الأخير، إذ "كان هناك استنزاف كبير في الذخيرة، وهذا الاستنزاف يجب أن يعوّض، والمعابر وحدها لا يمكن الاعتماد عليها، لذلك كانت فكرة الحملات، فكانت الفائدة منها مادية ومعنوية بذات الوقت".

حملات أخرى

أعلن مؤخراً "جيش العزة" عن حملة "ساندوهم" لدعم الثوار على جبهات ريف حماة، كذلك أطلقت "هيئة تحرير الشام" حملة "بدعمكم ننتصر"، وقال أحد ناشطي إدلب لعين المدينة، أن حملة الهيئة "ضخمة جدًا" وشملت كافة مناطق سيطرتها في إدلب وريفي حماة وحلب، وقد بدأت في المساجد في أيام الجمعة فقط، ثم انتقلت لمرحلة ثانية اعتمدت على الجمع في المساجد بشكل شبه يومي، على أن الهيئة اختصت مدن إدلب والدانا وسرمدا، "لأن قسم من سكانها من الأثرياء والتجار الكبار، وكان الإقبال شديداً عليها بداية ثم خفّ لاحقاً"، حسب الناشط.

وعن آلية الجمع أفاد الناشط، بأنها تتم عبر لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص أحدهم يستلم المبلغ، والثاني يُنادي عبر مكبر الصوت، وآخر مشرف على العمل. مشيراً إلى أن التبرُّع لم يكن محصورًا بالمال، بل شمل ما استطاع الأهالي تقديمه من محروقات وأغذية ومضاغ ذهبية، وأيضاً ذخيرة وقطع سلاح، بالإضافة إلى تبرُّعات مستديمة شملت كفالة علاج جرحى وأسر شهداء.

ونوّه الناشط الذي طلب عدم ذكر اسمه، إلى أن تحرير الشام منعت القائمين على حملة "ارم معهم بسهم" التابعة للجبهة الوطنيةَ للتحرير من العمل في مناطق سيطرتها، "هذا أمر طبيعي كون وزارة الأوقاف في حكومة الإنقاذ تتبع لها وتُريد أن يجري التبرع عبرها".

نشرت الهيئة في الطرقات لافتات داعية للتبرع تحمل عبارة "جاهدْ بمالك"، وقد اختلف حجم التبرع للهيئة بين المناطق التي لها فيها حاضنة شعبية والأخرى التي تفتقدها فيها مثل معرة النعمان وتلمنس والغدفة، حيث لم تجمع الهيئة سوى من مسجد واحد في كل منها، بينما لم يستجب أي من مساجد جرجناز للحملة.

وأضاف الناشط، أن مناطق إدلب شهدت حملات تبرّع مصغّرة عشوائية، حيث قام بعض الأشخاص بالدخول إلى المسجد أثناء إقامة صلاة ودعوة المصلين إلى التبرع بأشياء معينة، فيتم التبرع بها أو لتأمينها، سواء بالمال أو المحروقات أو وجبات الطعام أو الأدوية، بينما كان "العمل منظماً في مناطق سيطرة الجيش الوطني لوجود مؤسسات وحكومة مؤقتة" على حد تعبير الناشط.

يشار إلى أن الدعم الشعبي للثوار أخذ أشكالًا أخرى، مثل حملة "التدشيم" التي قام بها الأهالي في ريف إدلب بهدف تحصين مواقع الفصائل في الخطوط الخلفية، والإخبار عن أي تحركات مريبة قد يكون لها صلة بعملاء للنظام أو روسيا في المنطقة.

تبرعات تم جمعها في أحد مساجد إدلب - حزيران ٢٠١٩

بعد تدمير المستشفيات في إدلب.. الكوادر الطبية تبحث عن بدائل

أحمد العكلة

عشرات الحالات الطبية الحرجة في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي بسبب استمرار قصف الطيران الروسي والأسدي، الأمر الذي أدى إلى تدمير قسم كبير من المستشفيات وإخراجها عن الخدمة، ما دعا إلى إرسال المصابين إلى مستشفيات بعيدة وسرية، أو محاولة معالجتهم داخل نقاط طبية تم إنشاؤها لهذا الغرض.

استهدفت الطائرات الحربية المستشفيات من خلال غارات مركّزة ومزدوجة، فدُمّرت مستشفى نبض الحياة في بلدة حاس بريف إدلب الجنوبي، ومستشفيات الحكمة وشام وأورينت في مدينة كفرنبل؛ علاوة على ذلك استهدفت المستوصفات والمراكز الصحية في مناطق جبل شحشبو وجبل الزاوية، وخرج قسم كبير منها عن الخدمة. دفع ذلك إلى البحث عن سبل لتفادي الكارثة من قبل القائمين على القطاع الطبي، أو إيجاد بدائل عن أكثر 25 مستشفى ومركز صحي خسرتها المنطقة بالقصف، كما يشرح سرور الشيخ نجيب الذي يحمل إجازة كلية التمريض ويعمل في إحدى المستشفيات قبل أن تتعرض للتدمير بسبب القصف، ويجمل البدائل التي أوجدتها الحاجة بالنقاط الطبية الصغيرة المجهزة للحالات الإسعافية الحرجة كالإصابات الحربية والحوادث وغيرها، وفيها يقدم الكوادر الإسعافات الأولية لنقل الحالات إلى النقاط المتخصصة البعيدة، إضافة إلى اعتماد البعض منازلهم لعلاج المدنيين في بعض الأحيان، والخروج بجولات على المصابين في أماكن تواجدهم.

يقول الشيخ نجيب "في هذه الظروف الصعبة جداً يكون العمل بغاية الصعوبة بسبب القصف المكثف لجميع المناطق وخاصة النقاط الطبية، ما يؤثر سلباً على عمل الكوادر الطبية من حيث قلة العناية، بسبب الضغط النفسي وقلة الوقت المعطى للمصاب أو المريض لإخلائه خارج نقطة الخطر والتفكير بالخروج من المنطقة خوفاً من القصف". ويذكر مثالاً على ذلك إحدى الحوادث الفظيعة، عندما استهدف الطيران المكان الذي كان يقضي إحدى جولاته على المصابين فيه، وقد تسبب القصف باستشهاد 3 أشخاص وإصابة 4 ودمار المنزل وتضرر المنازل المحيطة.

وأوضح معاون مدير صحة إدلب الحرة الدكتور مصطفى العيدو لعين المدينة، بأن النقاط الطبية لم تعد ذات جدوى بعد رصدها من طائرات الاستطلاع من خلال تتبع إسعافها للمدنيين وقصفها لاحقاً، فكان الخيار الأمثل بالنسبة إلى العاملين هو تقديم الإسعافات الأولية للمصاب ثم تحويله للمستشفيات في المناطق الأقل قصفاً. يقول العيدو "وضعنا في استراتيجيتنا منذ تشكيل مديرية الصحة عدم الاعتماد على مستشفيات كبيرة بسبب استهدافها من قبل النظام منذ بداية الثورة، وتم إنشاء مستشفيات صغيرة في عدد من المدن والبلدات في المحافظة، بحيث يكون في كل منطقة كفايتها منها، لكن إخراج مستشفيات ريف إدلب الجنوبي عن الخدمة أجبرنا على تحويل المصابين إلى مستشفيات المنطقة الوسطى والشمالية".

أما بخصوص الكوادر من أطباء وممرضين، فيضيف العيدو أنه "خلال الحملة الممنهجة قمنا بتخفيض الكوادر للحد الأدنى من أجل الحفاظ على سلامتهم، وخصوصاً في ظل العبء الكبير على المراكز الطبية، وتوافد آلاف الجرحى خلال الشهرين الماضيين".

وفي سبيل تعزيز عمل المنظومات الطبية والإسعافية لتكون بديلاً عن المستشفيات، قامت المنظمات الطبية في الشمال السوري بتجهيز طواقم إسعافية وتجهيز السيارات الطبية بكل اللوازم لتعمل على مدار الساعة، وذلك من أجل نقل المصابين الذين يتعرضون للقصف بعد أن يتم تلقيهم الإسعافات الأولية داخل السيارات. محمد أبو عمر يعمل في أحد المنظومات الطبية في ريف إدلب، قال لعين المدينة "قمنا بتجهيز سيارات الإسعاف لتكون نقاط طبية متنقلة، من حيث وضع لصاقات لوقف النزيف، ومعدات لتقديم الإسعافات الأولية التي تساعد على الحفاظ على حياة المصاب إلى حين إيصاله إلى أقرب مستشفى".

وأضاف أبو عمر "بعد الأثر الجيد الذي تركته منظومات الإسعاف الطبية التي تعمل على مدار الساعة في إسعاف المصابين، أصبحت عرضة للاستهداف المباشر من قبل الطائرات الروسية، حيث تم تدمير سيارات إسعافية في منطقة كفرنبل، وسيارة أخرى تابعة لمنظمة بنفسج ارتقى على أثرها شهيدان من المسعفين، ورغم ذلك ما زال العمل مستمراً مع محاولة التخفي عن طائرات الاستطلاع التي تعتبر هذه السيارات هدفاً لها".

تعمل بعض المستشفيات وسط حالة من الطوارئ في تحصينات تحت الأرض، أو ضمن المغاور في الجبال على أن يتم تبديل مكانها بشكل دوري، في حين تخلو منطقة ريف حماة الشمالي من المشافي بشكل تام. وأشار المسعف إلى أنهم قاموا بإنقاذ حياة المئات من المصابين بالاشتراك مع طواقم الدفاع المدني في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي، بعد الوصول السريع للمنطقة التي تتعرض للقصف، رغم تهديد الغارات الروسية التي تتقصد العودة إلى قصف ذات المكان بعد أن يتجمع فيه المسعفون.

مشفى اورينت الجراحي في كفرنبل - بعدسة الكاتب

كنيسة قلب لوزة - بعدسة الكاتبة

مبادرات محلية لتخفيف وطأة الحرب على الآثار في إدلب

سونيا العلي

شهدت المواقع الأثرية في عموم محافظة إدلب خلال سنوات الحرب كثيراً من الانتهاكات، تمثلت بالقصف والحفر العشوائي والنهب والتخريب، ما تسبب بضياع الكثير من اللقى والكنوز، الأمر الذي استدعى انطلاق مبادرات عدة محلية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من تاريخ البلاد.

بجهود مجموعة من الأكاديميين والمهتمين تأسس مركز آثار إدلب عام 2012 بهدف صونها وتوثيق الدمار والانتهاكات التي تطالها، في محافظة تضم 760 موقعاً أثرياً تعود للحضارات الرومانية والبيزنطية والإسلامية، من أهمها المدن المنسية التي يبلغ عددها 40 قرية أثرية، كما تضم 50% من التلال الأثرية السورية كتلال إيبلا ودينيت وآفس، الأمر الذي جعل متاحف إدلب تزخر باللقى الأثرية وخاصة متحفي مدينة إدلب ومعرة النعمان، وفي الأول رُقم إيبلا المسمارية وفي الثاني لوحات المعرة الفسيفسائية، حسب أيمن النابو مدير مركز آثار إدلب.

ويضيف النابو: "تأثرت أغلب المواقع الأثرية في إدلب بالحرب، حيث طالتها التنقيبات العشوائية، كما تعرضت العديد من الأبنية الأثرية من كنائس وقصور ومدافن للقصف بمختلف أنواع الأسلحة من قبل النظام السوري، ومن المواقع التي تعرضت للضرر شنشراح وتل إيبلا الأثري ومتحفي المعرة وإدلب"

يعتبر لقلة الوعي دور بارز في ضياع الكثير من اللقى الأثرية أو سرقتها وتهريبها خارج حدود البلاد، حيث تحولت أغلب المواقع الأثرية إلى أماكن للتنقيب غير المشروع من خلال عمليات بحث ممنهجة للصوص محترفين مزودين بأجهزة وخرائط لأماكن تواجد القطع الأثرية، أو لصوص غير محترفين يقومون بالتنقيب، وبيع ما يجدونه بأسعار زهيدة دون إدراك لقيمة ما يبيعونه.

أبو محمود من ريف إدلب وجد في التنقيب عن الآثار مهنة ومصدر دخل مناسب مع غياب المساءلة والقوانين الرادعة، حيث يحمل كل صباح معدات الحفر ويتوجه نحو المناطق الأثرية، وعن عمله يقول: "أمام قلة فرص العمل توجهت إلى التنقيب، وأستخدم لذلك جهازاً يعلّق على الكتف لكشف الآثار، التي أتتبعها في المزارع وبساتين الزيتون، والمغارات العميقة والسراديب الضيقة" ويضيف "زميلي في العمل حالفه الحظ، إذ وجد في أحد المدافن تمثالاً رومانياً وعملة نادرة مصنوعة من الذهب الخالص."

أبو محمود وغيره من العاملين في التنقيب يرتبطون بشبكة من التجار والسماسرة الذين يقومون ببيع القطع الأثرية خارج البلاد، يوضح ذلك بقوله: "أبيع ما أعثر عليه لتجار الآثار الذين ازداد عددهم كثيراً خلال سنوات الحرب"

ومع اشتداد المعارك في الشمال السوري تحولت معظم المواقع الأثرية إلى بيوت للنازحين، منها بابسقا وباريشا وخربة الخطيب، إضافة إلى موقع شنشراح الأثري الذي استقبل أكثر من 100 عائلة نزحت من أماكن مختلفة من ريف إدلب، وقد قامت بعض الأسر بتقطيع القصور الموجودة فيه إلى أكثر من غرفة من خلال بناء جدران إسمنتية، وفتح أبواب ونوافذ، وتكسير الحجارة الضخمة التي بنيت منها البيوت الأثرية لتحويلها إلى حجارة صغيرة صالحة للبناء، ما أدى إلى تغيير شبه كامل في ملامح هذه الأوابد.

عدة مبادرات محلية قامت في إدلب بهدف تخفيف وطأة الخطر، وتحسين واقع الآثار بحسب الإمكانيات المتوفرة، فإلى جانب مركز آثار إدلب، قام الأهالي في قرية فركيا في جبل الزاوية بتشكيل لجنة أهلية تضم مهندسين ومدرسين وطلاب جامعات وحراس أخذوا على عاتقهم حماية آثار القرية من السرقة والتخريب، لاسيما بعد حصول عدة محاولات لسرقتها باعتبار القرية تحتوي على المئات من المواقع الأثرية من قصور ومدافن ومقابر ولوحات، وتماثيل منحوتة على الجدران يعود تاريخ معظمها إلى القرن الخامس الميلادي.

محسن المحمد طالب جامعي وأحد أعضاء لجنة حماية الآثار في فركيا يقول: "في ظل غياب الجهات المختصة بحماية المواقع الأثرية في إدلب، أخذنا على عاتقنا حماية آثار بلدتنا التي تعتبر جزء من التراث الإنساني، تدل على الهوية التاريخية للمنطقة وحضارتها"

كما أطلقت مديرية آثار إدلب في الحكومة المؤقتة مبادرات عدة منها مشروع (حكاية) الذي استهدف التلاميذ في المدارس القريبة من المواقع الأثرية لتوعيتهم بأهمية حماية الآثار والحفاظ عليها من خلال زيارة بعض المواقع وشرح تاريخها، وتدريبهم على التعامل مع القطع الفخارية ومبادئ الترميم والتنقيب، فضلاً عن إطلاق حملة تحت عنوان (أنقذوا آثار إدلب) التي ستستمر حتى نهاية العام الحالي 2019، تهدف لتفعيل دور المجتمع الدولي في تحمل مسؤولياته تجاه الإرث الثقافي.

وعن آلية العمل في الحملة يشرح أيمن النابو بالقول: "بدأت أنشطة الحملة بالاجتماع بخريجي الآثار الذين تواصلوا مع المجالس المحلية في أرجاء المحافظة لتنظيم حملات التوعية وتوزيع منشورات تعريفية بأهمية الآثار ولصقها على اللوحات الطرقية" مشيراً إلى قيام المديرية أيضاً بتوقيع مذكرة تفاهم مع جامعة إدلب بهدف تدريب طلاب الجامعات باعتبارهم يمثلون الشريحة المثقفة والواعية، كما تم التركيز على طلاب كلية التاريخ، وإعدادهم ككوادر علمية مؤهلة من خلال تزويدهم بالخبرات العلمية والعملية التي تمكنهم من إعداد التقارير، إضافة إلى تدريبهم على كيفية العناية بالآثار، وطرق الترميم العلمي ليكونوا رديفاً للعاملين في دائرة الآثار.

مصير مجهول ينتظر العائدين من معبر كسب

ميس الحاج

ينتظر السوريين العائدين من تركيا عبر معبر كسب الحدودي في اللاذقية ضابطٌ روسي يتولى شكلياً إدخالهم، ويساقون بعد التفتيش إلى المكتب التابع للأمن السياسي في المعبر، ومن ثم المخابرات العسكرية للحصول على "ورقة تسوية" يستطيعون التنقل من خلالها -كذلك شكلياً- دون التعرض للاعتقال. عند هذا الحد لا يعترض العائدين سوى بعض الأسئلة، وابتزاز مالي من كلا المكتبين يكفّ بدفع 10 آلاف ليرة سورية لكل منهما.

يصل معبر كسب بين مدينتي اللاذقية السورية وأنطاكيا التركية، ويعد من أهم المعابر الحدودية البرية بين سوريا وتركيا، خصوصاً أنه عاش خلال السنتين اللتين سبقتا اندلاع الثورة ازدهاراً في حركة تنقل الأهالي بين البلدين عبر رحلات يومية. أغلقت السلطات التركية المعبر مع بداية الثورة وتحرير أجزاء واسعة من مناطق جبل التركمان في ريف اللاذقية، بينما نشط معبر قريب في قرية اليمضية يصل المناطق التي تخضع لسيطرة المعارضة مع الأراضي التركية، لكن تم إعلان إغلاقه بشكل رسمي بعد استعادة النظام السيطرة على بلدة كسب التي سيطر عليها مقاتلوا المعارضة في منتصف آذار من العام 2014 فيما سمي وقتها بمعركة الأنفال.

بقيت حركة المرور من معبر كسب متوقفة بشكل نهائي منذ إغلاقه حتى الأشهر القليلة الماضية، حيث بدأت عدد من الأسر اللاجئة في تركيا بالعودة إلى مناطق سيطرة النظام عبره، فقامت السلطات التركية بفتح الباب أمامهم للعبور بعد اتخاذ بعض الإجراءات في الجانب التركي قبل إجراءات أخرى تنتظرهم على الجهة السورية.

أحمد أحد الشباب الذين كانوا يقيمون في مدينة أنطاكيا التركية قبل أن يعود إلى مدينته اللاذقية منذ فترة قريبة، وعن أبرز الأمور التي قام بها لكي يحصل على إذن للدخول، تحدث عن تقديم طلب للوالي التركي برغبته بالعودة، والانتظار حتى الحصول على الموافقة، وعندها يستطيع التوجه في أوقات الدوام الرسمي إلى المعبر، وهناك يستلم المسؤولون الأتراك هويته المؤقتة "الكيملك" بعد تفتيشه، ليسمحوا له بالدخول إلى سوريا.

لا توجد أرقام وإحصائيات دقيقة حول عدد الأسر العائدة من المعبر حتى الآن، لكن تقدّر بحوالي خمسين عائلة شهرياً أغلبهم من سكان مدينة حلب، بحسب ما أوضحت هند العاملة على المعبر من الجانب التركي، شارحة بأنهم يسألون الأسر قبل عبورها عن تأكدهم من قرار العودة، ويقومون بتحذيرهم من مخاطر تسليم بطاقة الحماية المؤقتة، وعدم القدرة على الحصول عليها مجدداً في حال رغبوا بالرجوع إلى تركيا.

"يعبر بشكل يومي أكثر من عائلة مع أطفالهم، وفي بعض الأيام يكون هناك ضغط على موظفي المعبر، لكن الحركة تتوقف بشكل نهائي في أيام أخرى" تقول هند، وتعزو قلة العدد إلى الاعتقال الذي تعرّض له قسم من الذين عادوا إلى سوريا، عدا عن الابتزاز المالي وسوق الشباب للخدمة في جيش النظام مجدداً. سحب بسبب ذلك عدد من الراغبين بالعودة طلبات الترحيل التي قدموها إلى مكتب الوالي، وترى هند أن الظروف الصعبة التي تعيشها أسر سورية في تركيا وغياب الدعم وعدم توفر فرص العمل بشكل دائم، يجعلها تفكر بالعودة رغم المخاطر الكثيرة التي من المتوقع أن تواجهها.

منذ إعلان النظام عن فتح باب المصالحات والعودة إلى "حضن الوطن"، واستعراض "الهدوء والأمان" في مناطقه، خاصة بعد سيطرته على معظم المدن، إضافة إلى الإعلان عن تقديم فرصة للمطلوبين لتسوية أوضاعهم، عاد إلى مناطق سيطرته فئات بينها الكثير ممن عاشوا في تركيا أوضاعاً اقتصادية صعبة. ومع بدء نشاط المعبر ظهرت العديد من مقاطع الفيديو لمقابلات مع عدد من الأفراد والأسر التي دخلت من المعبر، وشجع من خلالها معدوّها على عودة كافة اللاجئين، بادعاء سير الحياة بشكل طبيعي وأن من حق الجميع أن يعود إلى منزله وبلده، وأن النظام السوري يرحب بهم، وأن كل ما يتوجب عليهم فعله هو الحصول على ورقة من الجهات الأمنية المتواجدة على المعبر.

يقول أحمد عما يفعله عناصر المعبر السوريين بأنه "استغلال وضعهم فقط، والحصول على الأموال من خلال الابتزاز والتهديد بالاعتقال أو الحجز لعدة أيام، وهذا ما حصل مع الكثير ممن عادوا". على أن الاعتقال يتم عادة عقب وصول العائدين إلى مناطقهم، فضلاً عن سوق الشباب ممن خرجوا هرباً من الخدمة الإلزامية أو الاحتياطية فور وصولهم، وهنا لا تكفي المبالغ الصغيرة التي يدفعها العائدون في المعبر، فقد تصل إلى 4 ملايين ليرة، يُحاصَر قبلها المعتقلون بأسئلة عن أدق تفاصيل حياتهم في تركيا وسبب الخروج من سوريا.

تتحدث سمر من بانياس عن قريبها العجوز مع زوجته اللذين عادا بعد عجزهما عن دفع إيجار المنزل في تركيا. وفي مدينتهما اعتقِلا لشهر بعد عدة أيام من الوصول، تعرضا خلاله للتعذيب النفسي عبر حتى التحقيق في تفاصيل حياة أقربائهما، وترى سمر بأن مصيراً مجهولاً ما زال ينتظر العائدين، إذ لا قانون يلتزم به النظام، فكيف الحال بالميليشيات الكثيرة التي تسيطر على مناطقه!

عمر رحمون مروّجاً لعودة لاجئين من تركيا عن طريق معبر كسب

الموت المجاني.. صور متعددة في الساحل السوري

مراد الحجي

بات معتاداً ورود خبر وفاة شاب أو شابة أو طفل في مدن وقرى الساحل السوري لأسباب مختلفة، بما يوفره الساحل اليوم من أسباب للموت المجاني، في ظل غياب الرقابة على مجمل المؤسسات، وانتشار السلاح العشوائي، وتركُّز السلطة في يد الميليشيات.

الغرق

شاع في الفترة الأخيرة ورود خبر وفاة شبان غرقاً في البحر، نتيجة غياب كوادر الإنقاذ عن غالبية متنزهات الاصطياف، وعدم وجود قوانين ضابطة للسباحة في المحافظة، فقبل أيام توفيت الشابة مرح جمعة غرقاً في شاطئ الأحلام في اللاذقية، بعد أن واجهت وصديقاتها خطر الغرق رغم عدم ابتعادهن لمسافة كبيرة عن الشاطئ، إلا أن حالة البحر أدت إلى وفاة الشابة، وإنقاذ صديقتيها، وهي حادثة كانت قد حصلت عدة مرات خلال الصيف الحالي، دون قيام الجهات المختصة بالسياحة بأي سلوك لمواجهة خطر الغرق، في المنطقة التي يقصدها حالياً المئات يومياً للسباحة في ظل ارتفاع درجات الحرارة.

الدهس

بات لسلسلة دهس المارة حلقات يومية في اللاذقية، نتيجة عدم الالتزام بقوانين المرور من قبل السائقين من جهة، وانتشار ظاهرة سياقة السيارات من قبل غير مؤهلين، خاصة وأن قادة الميليشيات والأسر المتنفذة توزع سيارات على أفرادها، بعضهم ليسوا أصلاً في السن المناسبة للسياقة.

قبل أيام دهست سيارة الطفل تيم عثمان في منطقة الأزهري في اللاذقية، دون أن يتم التعرف على سائق السيارة الذي كان يقود بسرعة جنونية، وما زال الطفل حتى تاريخه في حالة حرجة، بسبب إصاباته البليغة في ظل العجز عن تقديم مساعدة طبية يمكن أن ينجو بها الطفل. حادثة مشابهة سبقت دهس الطفل، توفي ضحيتها الشاب في مدينة اللاذقية، دون التعرف كذلك على سائق السيارة حتى الآن.

انفجارات سوء الاستخدام

يعد هذا السبب الأكثر شيوعاً في قرى الساحل السوري، نتيجة انتشار السلاح عشوائياً لدى الكثيرين، ولدى فئات عمرية غير مؤهلة لحمل السلاح، بل ولدى أشخاص لا يتقنون التعامل مع الأسلحة الخطرة كالقنابل. فقبل أيام انفجرت قنبلة يدوية في منطقة الدريكيش أدت إلى مقتل حاملها، وجرح أحد أفراد أسرته، في حادثة تتكرر كثيراً خاصة مع ترك مقاتلين في جيش أو ميليشيات النظام مجموعات من أسلحتهم في المنازل، ليقوم أطفال بالعبث بها أحياناً، وهو ما تسبب بحوادث لا يتم الإعلان عن تفاصيلها غالباً.

الانتحار

لم تمر على الساحل السوري تاريخياً فترة شهدت حالات انتحار كالفترة الحالية، ففي بعض الأحيان يسجل في اليوم ذاته أكثر من حالة، تعود لأسباب كثيرة أهمها الضغط الدراسي قبل امتحانات الشهادة الثانوية، حيث شهدت طرطوس قبل هذه الامتحانات عدة حالات انتحار، جاء ثلاث منها خلال يومين متتالين، فيما كثرت حالات الانتحار بسبب العوز، وفقدان الأسر لمعيليها نتيجة الموت في جبهات القتال؛ مؤخراً قتلت سيدة نفسها في مدينة طرطوس بعد مقتل زوجها وتعرضها إثر ذلك لحالة من الفقر الشديد، في حادثة تكررت قبل ذلك في عدة مناطق من ريف الساحل، فيما يمر الكثير من حالات الانتحار الأخرى دون الإفصاح عن السبب.

عدي اليوسف، ممرض في المشفى الوطني في طرطوس، أوضح لعين المدينة أن حوادث الوفاة لأسباب جديدة لم تعتد عليها المستشفى سابقاً بات أمراً يومياً، من الانفجارات مجهولة التفاصيل، إلى الغرق، إلى مواجهة حيوانات مفترسة، والانتحار، وحوادث السير المتكاثرة، "باتت طرطوس معملاً للموت اليومي، والكوارث، بعيداً عن جبهات القتال التي ترسل القتلى يومياً إلى المحافظة".

الفلتان الأمني -وفق المصدر- هو المتسبب الرئيسي بما يشهده الساحل من حوادث، إضافة إلى اليأس الذي يقرنه الممرض بحوادث الانتحار المتكاثرة التي تشهدها مناطق الساحل السوري ككل، لأسباب متعددة منها رفض الالتحاق بالجيش، أو ضغوط الحياة والفقر الذي يجتاح البلاد.

اللوحة لـ Shirin Moayya

هزائم تقاوم النسيان

ريا فارس

فقدت الحياة قيمتها لتتحول إلى مجرد أرقام على عداد الزمن دون جدوى أو معنى، والأمل الوحيد للبقاء هو الاحتفاظ ببعض ما بقي من قواك العقلية في عالم يغرق بالجنون واللا منطق، لا شيء هنا يشبه الحياة، حتى لكأنّنا قد نسيناها واستبدلناها بذاكرة عمن راحوا كي لا يبتلعهم وحش النسيان أيضاً.

في ما تبقى من دمشق، يعيش اليوم كثير من الناس اللحظات انطباعات وصوراً وقصصاً وكلمات بقيت ممن رحلوا، يتجاورون في فسحات المكان متأملين بعضهم البعض بذهول، ويمارسون ما اعتادوا عليه بآلية باردة يسكنها ألم الفقد، وكأن هذا الأخير المسنن المكسور في عجلة الأيام الرتيبة.

هكذا اعتادت سوسن الاتصال يومياً مرات ومرات، تعلم أنه لن يجيب، لكنها بقيت تحاول، لم تستطع منع نفسها، وكأن وسواساً ما سكنها، تسمع المجيب الآلي: "الرقم المطلوب مغلق أو خارج التغطية" لسبب ما كانت تجد بعض السلوى في الأمر، حتى حين خرج الخط من الخدمة، استمرت بعادتها الغريبة كأنها صلاة من نوع ما.

مرّت ثلاث سنوات على اختفائه من على أحد الحواجز في دمشق، و"الرقم المطلوب" يدلّي خيطاً رفيعاً تتعلق به أيامها، لكن أملها تحطم هذه المرة، فحين اتصلت كالعادة رد شخص على الطرف الآخر، التقطت أنفاسها واستجمعت ما لديها من قوة لتسأل: "آلو.. حسام؟"، يأتيها الصوت غريباً بعيداً "غلطانة يا اختي"، "عفوا.. لا تواخذني" وأغلقت الخط. في تلك اللحظة علمت أن "الرقم المطلوب" خرج أخيراً من الخدمة، وأصبح متاحاً لشخص آخر، بكت وبكت حين انقطع الخيط وغاب حسام إلى الأبد.

كانت ترفض أن تنساه، ورفضت الزواج من غيره، بعد "سبع سنين حب، وسنتين خطبة". حسام مهندس الميكانيك اختفى كل أثر له في العام 2015، لم يترك أهله وسيلة أو واسطة أو رشوة لكن دون جدوى، حتى فقد الجميع الأمل في عودته حياً أو ميتاً، واحتسبته أمه عند ربها شهيداً. لكن سوسن لم تستطع حتى نزع خاتم الخطوبة من يدها اليمنى.

عائلة حسام طلبت منها ألا تزورهم، فوالدته كلما رأتها غرقت في البكاء والنحيب لأيام، أما عائلة سوسن -التي تعمل مدّرسة للغة الفرنسية- ففقدت الأمل في أن تستطيع ابنتهم "المخطوبة مع وقف التنفيذ" إكمال حياتها الشخصية: "ما بدي إنساه ولا بدي كمل حياتي، أصلاً شو بظل بالحياة إذا نسيتو".

في إحدى المناطق العشوائية في دمشق، تجلس أم سامر على سطح منزلها تراقب الشارع من فجوة في الحائط بعيون نصف مفتوحة، تمد ساقيها للشمس وتنتظر، تعلم أن لا أحد من أبنائها الثلاث سيمر، وخصوصاً الأصغر، فالأكبر استطاع الوصول إلى أوربا، أما الأوسط فقد انشق وهرب إلى عرسال في لبنان ومازال هناك.

الابن الأصغر له حكاية مختلفة، فالشاب العشريني استشهد في معارك القصير في العام 2013؛ "كانت الدنيا رمضان، حكا معي وقلي مشتهي أكلة القمح بلبن، وطبختلو ياها تاني يوم، بس ما اجى ع الفطور". علمت أم سامر من صديق ابنها، أنه استشهد في ذلك اليوم خلال محاولته حماية المدنيين الهاربين أثناء اقتحام النظام منطقة القصير؛ علمت أنه قُتل دون أن يتعذب، لكنهم لم يستطيعوا دفنه في ذات اليوم، فعاد أصدقاؤه في اليوم التالي ودفنوه ليلاً في بستان هناك.

تتحدث أم سامر عن توقها لزيارة قبر لا تعرف مكانه، قبر يغرق في النسيان، وعن أصدقاء ابنها الذين استشهدوا جميعاً الواحد تلو الآخر، وتخشى أن ينسيها الموت شهيدها، فكل ما تستطيع فعله أن تعيش وألا تنساه.

في دمشق تتجول الجدة ميساء في ممرات منزلها متعثرة بأطياف من غابوا، تجرجر قدميها يوماً بعد الآخر، تأمل في الاحتفاظ ببعض حواسها لحين عودتهم، تخشى الخرف فلا تعرفهم، وتخشى الزمن فلا يعرفونها: "عم حاول ما فكر، مشان ما إغرق باليأس، يمكن لسه في أمل، بجوز ما لحق عيشو أو أعرفو، بس لسه في أمل". السيدة مساء مسنة في الثانية والسبعين، سافر كل أبنائها خارج البلاد، تفتقدهم وتفتقد الأحفاد الذين صاروا شباباً في غيابهم؛ رفضت السفر إلى مكان لا تعرفه، ولا تحفظ حاراته، ولا تميز لهجات أبنائه، لكن الأهم أنها تخشى الموت في بلد غريب، وتخشى الموت وحيدة غريبة في بلدها.

مقاتلو داريا والمعضمية بعد التهجير.. هذه حكاياتهم عناصر وقيادات

محمد كساح

فضّل معظم قادة الصف الأول الذين كانوا يديرون فصائل الثوار في داريا والمعضمية المحاصرتين، عدم خوض تجارب قتالية وثورية جديدة توفرها منطقة مفتوحة مثل إدلب وباقي المناطق المحررة شمالي غرب سوريا. غادر عدد من هؤلاء نحو الأراضي التركية تاركين تشكيلاتهم تنتخب قيادة جديدة، بينما لم يبرح البعض الآخر مدينتهم مفضلين مصالحة النظام.

مقاتلو داريا

عندما وطأت قدماه أرض إدلب المعقل الأخير للثورة، سارع أبو إسلام المقاتل السابق في "لواء سعد بن أبي وقاص" أحد أبرز الفصائل التي كانت تقاوم النظام في داريا على تخوم العاصمة- بالانضمام إلى "هيئة تحرير الشام". يقول أنه يكره التطرف، ومن تجربته التي نيّفتْ على الثلاث سنوات في إدلب لمس "الكثير من الصدق في مقاومة النظام، وإن كان الأمر لا يخلو من صراعات على السلطة، وتشدد ديني لدى بعض الأفراد والمجموعات هنا وهناك".

أبو جهاد أحد زملاء أبو إسلام في داريا، قاتل في أكثر من 50 معركة دفاعية عن المدينة التي صمدت قرابة 1350 يوماً في وجه إحدى أطول حملات النظام العسكرية ضد المدن الثائرة؛ في إدلب فضّل الانضمام إلى "حركة أحرار الشام" متخلياً عن فصيله السابق "لواء شهداء الإسلام". يقول "الأحرار حركة كبيرة ومناسبة لطموحي العسكري" على حد تعبيره، وهكذا يمكن للشاب الذي لم يبلغ ال24 من العمر أن يقاتل على معظم جبهات الشمال السوري التي تربطها هذه الحركة.

تبعت أبو إسلام مجموعة من رفاقه إلى الهيئة، في حين كان عدد المنضمين لأحرار الشام و"جيش الأحرار" أكبر، لكن من ترك فصائل داريا منتسباً لإحدى التشكيلات الكبرى العاملة في إدلب قليل نسبياً بالمقارنة مع باقي أفراد الألوية الثلاثة التي كانت تقاتل في داريا (شهداء الإسلام، سعد بن أبي وقاص، المقداد بن عمرو)، الذين فضل معظمهم البقاء في تشكيلاتهم السابقة، لكن مع الانضمام في أوقات مختلفة لواحد من أقوى الفصائل العسكرية في الشمال السوري، "فيلق الشام".

ثالث ألوية داريا "لواء المقداد بن عمرو" المكون من مقاتلين من أبناء كفر سوسة انضم أيضاً للفيلق. ثم تبعه لواء شهداء الإسلام، ليتفق غالبية فصائل داريا مع المعضمية أخيراً على القتال ضمن صفوف فيلق الشام. وحتى الآن، لا يمكن التنبؤ بتطورات حاسمة ستطال تشكيلات المدينتين في مناطق تهجيرها، كل شيء تقريباً بقي على ما كان عليه خلال مرحلة الحصار، وجميع الألوية لا تزال تحتفظ بنفس الأسماء ونفس المقاتلين مع ملاحظة حدوث تقلصات في العدد.

مقاتلو المعضمية

من بين المئات، لم يغادر مدينة المعضمية من "لواء الفجر" سوى بضعة مقاتلين سافر معظمهم نحو الأراضي التركية. وعندما كان عشرات المقاتلين يحزمون أمتعتهم لمغادرة المدينة نحو إدلب، فضل طبيب العيون ومؤسس اللواء علي خليفة معه معظم قادة الصف الأول والمقاتلين البقاء في المعضمية ومصالحة النظام؛ فاختار إذن قائد اللواء أبو محمود نتوف مشاركة الدكتور خليفة والسيد أبو جمال الخطيب رئيس مجلس قيادة الثورة في ريف دمشق- البقاء داخل المدينة المكتظة بالشبان المنشقين والمتخلفين عن الخدمة العسكرية الإلزامية "للسهر والإشراف على تنفيذ بنود اتفاق المصالحة".

بينما رفض معظم المقاتلين والقادة الميدانيين الذين يعملون ضمن "لواء الفتح المبين" -أكبر التشكيلات في المعضمية- خيار المصالحة الذي انتهجه رفاقهم في الفصيل الآخر، مفضلين ركوب الباصات الكبيرة التي كانت تصطف عند حاجز الفرقة الرابعة من جهة السومرية في 19 تشرين الأول 2016. كان من بين الذين هُجّروا قادة الصف الأول والثاني، ومنهم إمام وحمزة أشهر قائدين ميدانيين في المعضمية، والعشرات.

عشية التهجير، وفي ظل انهيار تشكيل "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" الذي كان لواءا سعد والفتح المبين من فصائله في ما كان يدعى بالقطاع الأوسط (داريا والمعضمية)، قرر اللواءان الانضمام لفيلق الشام. انقسم لواء الفتح إلى قسمين: الأول يقوده حمزة، واختار المكوث في عفرين عقب سيطرة المعارضة عليها، والآخر مع إمام الذي آثر البقاء في إدلب. الخيار

الأخير اتبعه لواء سعد بن أبي وقاص مفضلاً المرابطة وإرسال المؤازرات إلى الجبهات التي يحتدم فيها القتال مع النظام على تخوم إدلب.

وحده الملازم أول أبو شاهين، الذي أطلق يوماً ما في داريا "لواء الأحرار" ثم انتهى إثر تكتل فصائل داريا ضده بعد أشهر قليلة من انطلاقته، وحده اختار فور قدومه إلى إدلب المضي نحو الريف الشمالي لحلب، لينضم مع مجموعة من عناصره إلى أحد التشكيلات الكبيرة في المنطقة، ويشارك في عمليات "درع الفرات" و"غصن الزيتون".

يتجاوز تعداد مقاتلي فصائل داريا والمعضمية في إدلب الألف مقاتل، يرابط الجميع على نقاط متعددة في جبهات الساحل وحلب وحماة. عند احتدام معركة حلب شاركوا في القتال، كما كانت لهم جولات في معارك أبو الظهور، لكن أكبر المشاركات العسكرية تتجلى في المعركة الحالية التي يشنها النظام على ريفي حماة الغربي والشمالي. ورغم أن التشكيلات السابقة لثوار المدينتين بقيت كما كانت في السابق، لكن مقاتلين فضلوا مغادرة البلاد وعبور الحدود نحو تركيا بغرض متابعة الدراسة أو البداية في حياة جديدة بعيداً عن القتال والعمل المباشر في الثورة، لكن في المحصلة يمكن تقدير عدد من بقي في إدلب بضعفي عدد من غادروا سوريا.

ثلاث نهايات لثلاث قصص

الاستمرار بالقتال: منذ بداية الكفاح المسلح ضد النظام في داريا، شارك الخمسيني أبو تيسير زيادة -الذي كان يدير أحد المطاعم الشهيرة في المدينة قبل الثورة- بتأسيس كتيبة سعد بن أبي وقاص، قبل أن تصبح "لواء" بعد أشهر من الحملة العسكرية على داريا في العام 2013. وعلى الرغم من جميع التهم التي كانت تطاله، على غرار التسبب بمجزرة داريا الكبرى التي ذهب ضحيتها قرابة ألف شهيد، إضافة للاستفراد بالرأي، وغير ذلك، بقي الرجل صلباً أمام جميع المحاولات التي كان قادة لواء شهداء الإسلام يخططون لها بهدف تقويضه.

في إدلب بقي ثابتاً على مبدئه في محاربة النظام، لذلك بقي داخل الشمال المحرر برفقة 50 مقاتلاً (هم من تبقى من لوائه في داريا بعد الانشقاقات العديدة التي شهدها قبل التهجير).

إلى تركيا: أما أبو وائل حبيب أحد مؤسسي لواء شهداء الإسلام، فيعتبر أحد أبرز القادة الذين أمسكوا بخيوط معركة داريا، حيث قاد الشاب الثلاثيني ذو الشخصية الجذابة والمهذبة -بشكل غير رسمي- أكبر تشكيل عسكري في داريا قوامه 800 مقاتلاً؛ كانت شعبية أبو وائل خلال حصار داريا كبيرة جداً، كما التف حوله عشرات الشبان ليغدو الشخصية الأشهر في داريا. وفي إدلب، وبعد أن عسكر مقاتلو اللواء في مقرات تابعة لجيش الإسلام الذي كان يخطط لضمهم إليه، بدأت المتاعب تتصاعد، وبات اللواء الذي يبدو متماسكاً من الخارج يعاني من صراعات ومشاكل داخلية ساهمت في انشقاق عشرات العناصر وانضمامهم للفصائل الموجودة في إدلب، كما تم عزل قائد اللواء النقيب أبو جمال، ليحل مكانه أبو وائل حبيب بشكل رسمي.

تزوج أبو وائل بعد أشهر من التهجير، ثم غادر نحو تركيا بغرض الإقامة فيها مستقيلاً من قيادة اللواء. يفيد البعض أنه لا يزال يعمل ضمن غرفة الموم كنائب لرئيسها، بينما يشير آخرون إلى دخوله ضمن "الحلقة المصغرة الخاصة برئيس الوزراء المنشق عن النظام رياض حجاب"، في وقت يدير فيه مشروعاً افتتحه لتربية النحل.

الدخول في المصالحة: تحول مؤسس لواء الفتح المبين سعيد دوبا (المفتي) إلى أيقونة ورمز لدى ثوار المعضمية قبل أن يستشهد شتاء العام 2013. بعدها جرى تعيين الخمسيني أبو محمود نتوف قائداً للواء، لكنه لم يستطع -على الرغم من نشأته الدينية وأسرته العريقة وعمله المتقن مع فريق من النخب- أن يواكب مسيرة المفتي.

انضم نتوف للجنة التفاوض التي وقعت هدنة معضمية بدايات العام 2014، وبقي ضمنها حتى تنفيذ اتفاق التهجير، ومع رحيل المقاتلين كان يرفض مغادرة مدينته، متسلحاً بحجج يعتقد قسم من ثوار المدينة أنها منطقية. يقول مقاتلون من لواء الفتح "لو غادر المعضمية عند تنفيذ الاتفاق لتبعه معظم شبان البلد، لذلك آثر البقاء لمتابعة تنفيذ الاتفاق؛ هناك عشرات المنشقين والمطلوبين، ولا يمكن حمايتهم دون وجود شخص مثله، ومثل الدكتور علي خليفة وأبو جمال الخطيب!".

الائتلاف.. لعبة الكراسي الموسيقية «عديمة الفائدة»

يقول الفيلسوف الفرنسي الشهير فولتير؛ والذي تنسب إلى أفكاره كثير من شعارات الثورة الفرنسية إن "أفضل حكومة هي تلك التي يوجد فيها أقل عدد من الأشخاص عديمي الفائدة".

سهيل نظام الدين

تبدو العبارة شديدة السهولة والاتساق والمنطقية بالطبع.. إذ لا يمكن توقّع حكومة جيّدة مكوّنة من أشخاص "عديمي الفائدة"، لكنّ الواقع اليومي الذي تعايشه معظم شعوب الأرض، هو أنّ جزءاً دائماً من كلّ كيان حكومي أو شبه حكومي -وبتوسيع أكبر- من كلّ كيان يدعي التمثيل السياسي لجماعة بشرية، يكون في الغالب عديم الفائدة، بل وضاراً ومعيقاً لفائدة بقية التركيبة.

لا يعني هذا أنّ عبارة فولتير خاطئة، بل يعني إنّها تشير إلى حدوث مستمر لما تحذّر من حدوثه.

وفي سوريا خصوصاً لدينا تجارب طويلة ومزمنة مع "عديمي الفائدة"، إلى درجة أنّه ومع قيام الثورة عام 2011، انتقلت هذه الخصيصة المربكة تلقائياً لتهيمن على المشهد التمثيلي السياسي للثورة التي كانت وقتذاك في ذروة تفجرها وحيويتها.

هل يمكن قلب عبارة الفيلسوف الفرنسي ذائع الصيت لتصبح "إن أسوأ حكومة هي تلك التي يوجد فيها أكبر عدد من الأشخاص عديمي الفائدة"؟.. ربما؛ مع أنّ المنطق يفترض أن يكون العكس هو أنّ تلك الهيئة تكون أفضل كلما كان عدد "المفيدين" فيها كبيراً.

وبالحديث عن "الفائدة" سينحسر التشخيص التحليلي فيما يخص سوريا إلى أبعد مكان ممكن عن حكومات أنظمة حزب البعث منذ عام 1963؛ وبالتحديد نظامي حافظ وبشار الأسد المتناسلين منذ عام 1970. لا فائدة ترتجى هنا، ولا معنى واقعياً للبحث في إمكانية أن يكون ثمّة ما هو قائم على منطق مفيد. لنعد إلى ضفّة الثورة إذاً.

منذ أيام فقط، انتخب السيد أنس العبدة رئيساً للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة مع طاقم من نواب للرئيس وهيئة سياسية؛ أعادت إنتاج الأسماء ذاتها التي تتبادل مناصب الائتلاف منذ إعلان تأسيسه في تشرين الثاني عام 2012 بالعاصمة القطرية الدوحة.

وكما كان متوقعاً فقد أثار هذا الانتخاب -الخالي من المفاجآت في الحقيقة- سخط الشارع السوري المعارض، وحفلت مواقع التواصل سريعاً بفيض من السخرية والانتقادات اللاذعة والتشكيكات في نزاهة أعضاء الائتلاف. ومع أنّ رد الفعل هذا متوقع أيضاً، فهو يكرر ذات الأداء الاجتماعي منذ سنوات تجاه كل عملية انتخابية داخل الائتلاف.

كان يؤمل في بدايات قيام الثورة السورية أنّ تتمكن قوى المعارضة التقليدية في البلاد من الاستجابة للتحول البنيوي الهائل الذي أطلقته داخل المجتمع السوري، والواقع أنّ تباشير بدائية لاحت في أفق السياسة السورية الخامد مع ظهور خطابات جديدة لبعض القوى -على تباين وجودها الفعلي في الشارع- لكن ومع تأسيس المجلس الوطني السوري عام 2011 ثم تحويله إلى جزء من الائتلاف الأكبر؛ ترهلت الهيئة السياسية التي يفترض أن

تكون واجهة لأخطر لحظة عاشتها سوريا في تاريخها الحديث، وتناوشت الشللية والمحسوبيات والولاءات الخارجية أجزاء من هذا الجسم، ليغرق في اعتياد مستمد من الميكانيزمات الشائعة لبلادة السياسة السورية عند النظام، مع الاعتراف أن المقارنة مع النظام ستكون مجحفة بحق أي معارض.

لعبة الكراسي الموسيقية المملة

هذه، كانت تحتاج إلى خصوصيات في البنية وفي المناخ السياسي داخل الائتلاف نفسه كي تستقر بلا مشاكل، وبأقل قدر من الصراعات المكشوفة، والسوريون متأكدون طبعاً أنّ ثمة صراعات سرية حامية داخل الائتلاف، يخرج بعضها إلى العلن مع فوران غضب أحدهم، ويبقى جلّها طي الكتمان بانتظار تسويات المحاصصة.

فولتير مجدداً.. الائتلاف بالمفهوم العملاني لجسم سياسي ممثل لثورة عظيمة، ولشعب تعرض إلى كل صروف الإبادة من تحالف شر عماده مليشيات إرهابية، كان "عديم الفائدة" وهو الشق المدني لسردية شتات السلاح وصراعات الفصائل المقاتلة. وهنا يبرز أثر الخصوصيات البنيوية والشكلية لهذا الجسم في إبقائه قائماً وقادراً على ادعاء الحيوية الداخلية عبر ديمقراطية تبادل المواقع.

وصحيح بالطبع أنّ البيئة السياسية الدولية خذلت السوريين، وتحديداً بعد الاتفاق النووي الإيراني والتدخل الروسي المدمر، وهذا ينطبق على عمل الائتلاف وغيره من الهيئات التفاوضية الثورية، إلا أنّ المنطق التسويغي للفشل عبر جعله أفضل الممكن لا يستقيم مع ما يفترضه الالتزام تجاه مليون شهيد ونصف سوريا المهجَّر والمدمر.

هناك موجبات أخلاقية ووطنية تقتضي شفافية نزيهة لم تتوافر يوماً عند الائتلاف، وإضافة إلى هذا هناك أيضاً خصوصية مستجدة، تبدو كتصريف وقح لعملية تجاهل الانتقادات وانحسار التأييد عند القاعدة الشعبية التي يقول الائتلافيون أنهم ممثلوها، والحقيقة أنّ العجز -يبدو متعمداً- في تجديد الوجوه لقيادة الواجهة السياسية للثورة لا يعود فقط إلى الشروط الدولية والإقليمية، بل إلى نزعة استئثار بسلطة غير موجودة فعلاً.

في الثورات والحروب الوطنية الدموية هناك حاجة ملحة دائماً إلى توصيف نفسي للوذمات التي تحيق بالمجتمع على كافة الاتجاهات، ومع أنّ أعضاء هذا التكتل المبني أساساً على مبدأ الإحاطة بكل ما هو متوافر من قوى بصرف النظر عن تجانسها، سيكونون معرضين لذات الوذمات الخفيّة في المجتمع، إلا أنّ إغراء التواجد العنيد في ذات الإطار "غير المفيد" لا يمكن تفسيره بأنه مجرد نضال ذي خط واحد باتجاه إسقاط نظام متوحش.. هناك شيء ذاتي هنا يعود إلى أن القوى المكونة للائتلاف لا تجدد نفسها، وبالتالي لا يمكنها تقديم روافد جديدة لعمله.

دعنا نتصور الأمر كالتالي.. لعبة كراس موسيقية يقوم بها ذات الأشخاص حتّى الإنهاك، ومع تزايد بطء حركتهم، تقودهم خصوصية قبول المحاصصة -كحل سهل لكلّ مشكلة تفترض تضارباً في قيمة الكرسي- إلى توزيعات متكررة للجالسين والواقفين والمنتظرين.

لا تعود اللعبة ذاتها هي المعنى لأنها "عديمة الفائدة"، بل الصيغة التي تجعل تجاهل تبرّم الجمهور أمراً ممكناً.

دعونا من فولتير.. يقول هيغل إن "كلّ ما هو حقيقي فهو منطقي، وكلّ ما هو منطقي فهو حقيقي"، ومع أن ثمّة صيغ ترجمة أخرى لهذه العبارة المعقدة، فإنّها جميعها تؤول إلى غرض واحد هو أنّ ما ليس منطقياً لا يمكنه أن يكون حقيقياً.

وفي سوريا، داخلها المدمر وتلك التي علّقها المهجّرون على أكتافهم بين منفى وآخر، لا يوجد ما هو منطقي أكثر من تسخير كل جهد ممكن -بما ذلك التنحي جانباً- لإنهاء حكم آل الأسد، وبناء مستقبل خال من الطغيان ومشتقاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لكنّ واجهات الثورة السياسية وأحدها -وربما أبرزها- ائتلاف قوى الثورة والمعارضة لا يمكنها أنّ تكون حقيقية في الشارع مالم تكن منطقية في كونها تفسّر الذروة السياسية لبيئة ثورية أسستْ شرطاً قد لا يتاح مجدداً قبل انقضاء زمن طويل لهدم "لا منطقية ولا حقيقية" الدولة القاتلة.

لا يمكن أن تكون فاشلاً بإصرار وتتوقع تغييراً.. هذا مستحيل.

والمفارقة هنا أنّ الشارع متقدم بشوط طويل على معارضته، وهذا الشارع يعرف يقيناً أن الفصائل المسلحة التي يحترم بعضها وينعت بعضها الآخر بالإرهاب، لا تملك تقديم السياسة المجدية، لكنه لا يريد واجهات سياسية تعيد إنتاج نفسها كل سنة.

لم تقم الثورة من أجل إنتاج "قيادة قطرية ثورية"... هذا أمر "عديم الفائدة" حقاً.

الارتفاع المخيف في أعداد الضحايا المدنيين في الحرب على الإرهاب

فيليس بينس
10 أيار
عن مجلة In These Times
ترجمة مأمون الحلبي

تُظهر تقارير جديدة تصاعداً في أعداد إصابات المدنيين بفعل العمليات العسكرية الأميركية في سوريا وأفغانستان والصومال، ونمطاً من الإنكار الأميركي حول حجم المشكلة.

"ليس ثمة حل عسكري" هو قولٌ تم سماعه مراراً منذ أن بدأت "الحرب الكونية على الإرهاب" قبل حوالي ثمانية عشر عاماً، ومعظم صناع السياسة يقرّون بحاجتنا لحلول سياسية للنزاعات العسكرية التي تورطنا فيها على مدار العقدين الماضيين. لكن في تلك الأثناء قامت آخر ثلاث إدارات أمريكية بإرسال قوات عسكرية لتمهيد الطريق لحل سياسي، وقد أبقت تلك القوات هناك تحت مزاعم حماية المدنيين من حركة طالبان في أفغانستان، وتنظيم الدولة في سوريا، وحركة الشباب في الصومال، وغيرها من المجموعات الأخرى المتشددة. مع ذلك، كثيراً ما يصبح هؤلاء المدنيون ضحايا لذات القوات العسكرية التي من المفترض أن واشنطن قد أرسلتها لحمايتهم، والنتيجة حربٌ كونية على الإرهاب تواصل قتل وجرح المدنيين، بما فيهم الأطفال، بأعدادٍ متصاعدة.

سوريا

أعلن تنظيم الدولة مدينة الرقة كعاصمة لدولة "الخلافة" المزعومة في كانون الثاني 2014، وبدأت إدارة أوباما بشن حملة قصف في سوريا في خريف ذلك العام، وتبع ذلك إرسال قوات برية عام 2015. كان منخرطاً في القتال على امتداد سوريا كل من تنظيم الدولة وقوى مختلفة تعمل في البلاد: إيران، تركيا، السعودية، الإمارات، إسرائيل، الولايات المتحدة، روسيا، ناهيك عن الحكومة السورية وتشكيلة متنوعة من قوات المعارضة. كان من نتيجة هذا الهجوم الكوني العنيف أن واجهت الرقة وسكانها المحاصرون موتاً ودماراً تواصلا لسنوات، لكن حملات القصف بقيادة الولايات المتحدة هي ما دفع المدنيون ومدينتهم أثماناً باهظة لها.

عنوان تقرير لمنظمة العفو الدولية صادر في نيسان 2019 يلخص الوضع في المدينة: "الخطابية السائدة مقابل الواقع: كيف تركت (الحملة الجوية الأكثر دقة في التاريخ) مدينة الرقة لتكون المدينة الأكثر دماراً في الأزمنة الحديثة". كان الهجوم على المدينة لا ينقطع. يقول التقرير: "أحد المسؤولين العسكريين الأميركيين تباهى بإطلاق حوالي 30 ألف قذيفة أثناء الحملة –ما يعادل ضربة كل 6 دقائق لأربع شهور متواصلة– وهو ما يفوق حجم نيران المدفعية المستخدمة في أي نزاع منذ حرب فيتنام."

وقد وثقت منظمة العفو مقتل 1600 مدني نتيجة الضربات الجوية على المدينة. في إحدى الحوادث، مبنى سكني مكون من 5 طوابق تقطنه 4 عائلات تمت تسويته بالأرض بفعل ضربة جوية. يقول التقرير: "تقريباً جميع قاطني المبنى – 32 مدنياً على الأقل، من بينهم 20 طفلاً– قُتلوا، وبعد أسبوع من هذه الحادثة قُتل 27 مدنياً بينهم أقرباء لأولئك الذين قُتلوا في الضربة الأسبق– عندما دمرت ضربة جوية مبنى مجاوراً"، بينما أعترف مسؤولو البنتاغون الذين تباهوا بقصفهم "الدقيق" للمدينة بمقتل فقط 159 مدنياً في الرقة.

أفغانستان

حرب الولايات المتحدة في أفغانستان في عامها الثامن عشر، وما زال مزيدٌ من المدنيين يموتون كل عام. فوفقاً للمفتش الخاص من أجل إعادة إعمار أفغانستان، تسيطر كابول المدعومة أميركياً، على حوالي 54% فقط من مناطق البلاد. ثمانية عشر عاماً من الحرب والاحتلال لم تقض على حركة طالبان، بل حدث العكس تماماً، إذ أن الولايات المتحدة وروسيا والعديد من جماعات المجتمع المدني الأفغانية يتفاوضون مع طالبان، بالمقابل يخفت بريق الحكومة الأفغانية تحت وطأة سقوطها في مستنقع الفساد والافتقار للكفاءة.

لقد سجلت الحرب في أفغانستان فشلاً ليس فقط بالمعنى السياسي، وإنما بالمعنى الإنساني أيضاً، فابتداءً من عام 2017 على الأقل، صار معدل وفيات الأطفال الرضع مساوياً للمعدل الذي كان عليه عندما كانت طالبان تحكم البلاد قبل الغزو الأميركي: في المرتبة الأولى على العالم.

التكلفة الإنسانية

توجد خلف الأرقام تكلفة إنسانية لا تطاق. تقول إحدى ثكالى مدينة الرقة:" شاهدت ابني يموت محترقاً وسط الركام الذي كان أمامي، لقد فقدت جميع أحبائي، أبنائي الأربعة، زوجي، أمي، أختي، وكل أفراد عائلتي. ألم يكن الهدف تحرير المدنيين؟ كان من المفترض أن ينقذونا، أن ينقذوا أبناءنا".

إن عدد ضحايا القذائف وضربات الطائرات المسيرة والمعارك هو فقط رأس جبل الجليد. هنا لا يدخل في الحسبان مئات الآلاف الذين يُقتلون في مناطق الحروب بفعل العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الولايات المتحدة، وبفعل الجوع الناتج عن خلخلة المنظومة الغذائية، والأمراض الناتجة عن قصف منشآت معالجة المياه والمشافي والعيادات الطبية.

إن القول القديم أنْ "لا حل عسكري لأي من هذه النزاعات" ما يزال صحيحاً، وطالما ما تزال الأعمال العسكرية الفاشلة قيد الممارسة فإن موت المدنيين سيستمر، وسيقتلون من قبل ذات الجنود والطيارين والقاذفات ومجالس الأمن القومي وأعضاء الكونغرس ممولي الحروب والبرلمانات ورؤساء الوزراء والرؤساء الذين يزعمون أنهم يحررونهم.

مجنون النمر وعاشور عاشور.. تحولات في سير المخبرين

تركي البوحمد نموذج مكتمل عن ظاهرة ادعاء المشيخة العشائرية المتكاثرة في أوساط النصابين المؤيدين للنظام من أبناء الريف، إذ وقف في أعلى درجات سلّم وعيهم بالفضاء العام، وأصبح ملهماً في وظيفة المخبر لباحثين عن تجاربهم العملية في التكسب والتملق لأجهزة المخابرات.

اجتاز البوحمد مراحل الظاهرة التقليدية كافة، لصاً ثم نصاباً ثم مخبراً ثم مقاتلاً، فقائد ميليشيا، ليبلغ أخيراً منتهاه كشيخ عشيرة مزعوم، في مسيرة ألهمت العشرات من أتباعه.

عاشور عاشور عنصر سابق في ميليشيا "جيش العشائر" التي يقودها البوحمد، دفعه طموحه الشخصي للانشقاق عن معلمه، فمضى في طريقه الخاص بين مفارز وفروع المخابرات وشعب البعث ومكاتب مديري "المؤسسات الحكومية" في مدينة حماة التي استقبلت حكومة النظام المحلية المطرودة من الرقة منذ العام 2013.

وفي أوساط أهالي الرقة النازحين هناك، يزعم عاشور أنه رجل خير واسع النفوذ، ويقسم أنه يساعد أهل بلده لـ"وجه الله"، ويطالب مطلقي الشائعات الذين يكرهون الرجال الناجحين أن يقابلوه وجهاً لوجه، ليقولوا له "يا شيخ عاشور انت قبضت من فلان هالمبلغ عشان تسوي له هالشغلة". تحدي مضمون، فالجميع يخاف من تقاريره ويصمت.

وفي أوساط العناصر وصف الضباط والمخبرين الأرفع رتبة، يزعم عاشور أنه لا يهدأ في عمل متواصل لـ"تحرير الرقة"، وكما قاتل الدواعش والجيش الحر سابقاً "سيقاتل الأكراد"، وأمام أي عنصر لبناني أو عراقي -أو أفغاني حتى- من عناصر ميليشيات الحرس الثوري الإيراني، يتقمص عاشور شخصية الشيعي المجاهد. وفي تذكّر كاذب لـ"طريق هدايته" كرجل نبيل من أصول إقطاعية- يأخذه الحال، ويكشف حلمه التاريخي البعيد بأن يهتدي إلى "مذهب آل البيت" سكان وادي الفرات من جرابلس إلى البوكمال.

ومن مورك في ريف حماة، يقدم الملاك الصغير وموظف البلدية السابق عبد الناصر العلوش، مثالاً شديد الخصوصية وحكاية طفرة أخرجت العلوش من سياقه المتوقع. فمنذ نزوحه وأسرته الكبيرة إلى مدينة حماة هرباً من الثوار بعد انكشاف أمره كمخبر، سُلب لبُّه بالعقيد ثم العميد في مخابرات النظام الجوية سهيل حسن، وكلما زادت شهرة الضابط السفاح ازداد ولع العلوش به، حتى صار يقلد طريقة "النمر" بارتداء الزي والقبعة العسكرية (السدارة) وكذلك النظارات الشمسية، والمشي، الوقوف، انتصاب الرأس، وشد عضلات الرقبة؛ وعندما تغيّر وجه النمر حاول علوش أن يغير في وجهه ليشابه وجه سيده بنسخته الجديدة.

ومع كل إصدار مصوّر يلقي فيه "النمر" خطابه الفلسفي المعتاد، يعتكف العلوش ساعات طويلة بجواله معتزلاً الناس، يشاهد الإصدار مرة تلو أخرى، إلى أن يحفظ عن ظهر قلب كل حرف وكلمة من خطاب أسطورته الجوية.

وكما يبدو الحسن متواضعاً مع عناصره في حالات، ومتكبراً في حالات أخرى، يفعل علوش مجنون النمر. وداخل مطار حماة العسكري، وفي المرات التي يتاح له فيها أن يخلو ببعض المجندين الحمقى المفرّغين للسخرة وأعمال التنظيف، يلقي العلوش خطبة من خطب النمر، دون أن ينجح بتحريض عساكر السخرة على التصفيق والهتاف باللحظة المناسبة.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

مشفى اورينت الجراحي في كفرنبل

عدسة أحمد العكلة – خاص عين المدينة